
كتاب الشهر
هتلر
محمد صبيح عبد القادر

كتاب الشهر

فلنسمه مشروعا من مشاريع الشباب ، ولنقل عنه أنه صورة من صور النشاط الفكرى الحديث ، الذى كانت الجامعة المصرية الفتية ، سبباً فى إظهاره بين أساتذتها وأبنائها وأصدقائها .

ولتعلم أن الغاية من إصدار كتاب الشهر ليست كسباً ، أو تجارة ، وإنما نريد به المساهمة الجادة من رفع المستوى الثقافى العام للمتعلمين المصريين ، وغيرهم من قراء العربية فى أقطارها . . فنقرب لهم ما ابتعد عنهم من صور التفكير العقلى العام ، فى شتى شؤون المعرفة ، ونقدم لهم « مبسطات » العلوم والآداب فى أسلوب مقبول ، يرضى المثقفين ، ولا يسخط العلماء المتخصصين .

وقد أدرك غيرنا من الأقوام ، حاجة الفرد ، المتخصص وغير المتخصص إلى موجزات مضبوطة سريعة ، توقفه على ما وصل إليه التطور الفكرى فى كل ناحية من نواحيه ، لتكمل معرفته بعض الكمال ، بعد أن استحال على الفرد أن يلم إلماماً شاملا بكل ما أنتجه العالم ، والقلب الشاعر . فأخرجت المطبعة الغربية آلاف الكتب ، تتناول « كل شيء » مناولة دقيقة بعيدة عن التعقيد ، وعن الاخلال . وأقبل الناس عليها ، يغريهم بها رخص الثمن ، وطرافة الموضوع ، ونبل القصد . .

وها هو ذا الوقت قد جاء ، لكى ندفع إلى المطبعة العربية بكتب الشهر ، بأقلام كتبت الموسوعات فى موضوع كل كتاب وألمت بأطرافه فى شتى المظان ، والمراجع ، وعسى أن نوفق إلى إرضاء أنفسنا ، ثم إرضاء الناس .

دار الثقافة العامة



DER FÜHRER im Flugzeug

مقدمة المؤلف

أردت من إخراج كتاب عن « هتلر » ، أو على الأصح عن الريخ الثالث فى عهد زعيمه الحاضر ، ومن الكتب التى سأخرجها — باذن الله — عن قادة العالم الحديث ، أن أعطى للقارىء العربى صورة من صور الحياة فى أوربا ، ليست مفصلة ، ولكنها ليست مشوهة . وقد أغرانى بالتحدث عن سير الأبطال المحدثين عبر البحار ، ما لمحته فى بدء حركاتهم من آيات الكفاح الصادق ، وما انتهى إليه كفاحهم من نصر ، حقق بعض غاياتهم ... فهذا القسم من حياة هؤلاء الأقوام — قسم الكفاح الأول — وعناصر القوى الشخصية التى أعانت هذا الكفاح ، هى التى عنيت بابرازها . ولا أريد بهذا أن

أكون داعيــة لأوربا ، فأنا أثق أن مصر ، والشعوب العربية ، وأمم الشرق قاطبة ، قد تأخذ عن أوربا الصفات المشتركة بين الانسانية ، ولــكن لا يجوز أن تستورد منهــا كل أزياء الحياة وألوانها . . . . فلنا شخصيتنا ، ومقوماتنا ؛ ولهم شخصيتهم ومقوماتهم . ولذا عنيت فى هذا الــكتاب بتقديم الصور اللامعــة ، المضيئة ، التى توحى لــكل قارىء ؛ والصور القاتمة المظلمة ، التى يحسن بنا ألا نندفع فى تمجيدها أو العناية بتقليدها . . .

ودنيا اليوم هى دنيا الشباب . وسياسة الدول تستفيد من تعرف بعضها بالبعض الآخر ، لادراك النفع ، واقتناصه . وحاجتنا — شباب مصر — ومثقفيها ، ماسة إلى قسط وافر من الثقافة الدولية العميقة ، التى نســتقبل بها حياة نرجو لها الخير ، ولــكن بعد أن نكافح الــكفاح الصادق ، ونصطلى بالنيران التى ألهبت غيرنا فطهرته ، والتى لا بد أن تلهبنا حتى تطهرنا .

فهذه سيرة « هتلر » . . . ما له ، وما عليه ، لم أرد بها ألمانيا ، وإنما أردتك أنت بها أيها القارىء . . .

وإلى اللقاء فى الشهر القادم .

محمد صبيح .

العضو رقم ٧

بعد المجزرة العظمى

ما كادت الهدنة تعلن ، ويصمت دوى آخر مدفع فى الحرب العظمى حتى أسرع الكتاب والمؤخرون وأصحاب الشعر والقصص إلى أقلامهم وأوراقهم وراحوا يدفعون إلى المطبعة بكتب جاوز إحصاؤها فى العامين التاليين عشرة آلاف بمختلف اللغات ، وأقبلت ملاعب التمثيل ، ومصانع الأفلام على هذه المؤلفات تأخذ منها ، وتقدم للناس أحداث الحرب فى صور ، وأزياء مختلفة ، ومهما يكن من شرور الحرب وآفاتها فقد أفاءت نوعاً من الخير على العقل البشرى ، بما أنتجت القرائح ، وما قرأ الناس . . وليس يسيراً أن ننسى الضجة العالية ، التى

أحدثها ظهور قصة « لا جديد فى الميدان الغربى » ، ولا سيما حين نقلت إلى السينما ، وقد دل الاقبال الهائل الذى حازته هذه القصة ، على أن الرأى العام العالمى ، متلهف إلى التعرف على أخبار هذه الآلات البشرية ، التى تكونت من عشرة ملايين من الجنود ، أثناء المجزرة العظمى ، كانت خلاصة القوى العاملة فى المجتمع العالمى . . . ولا شك أن نفوس الصفوف المحاربة كانت تضطرم بشتى العواطف ، وكانت رؤوس أفرادها تحترق بآراء لا نظام لها ولا ضابط . . — وهى — فى نهاية الأمر التى رجحت النصر فى جانب ، والهزيمة فى جانب آخر .

ولم تكن هذه الآراء بين الجنود ، تصدر من ذات أنفسهم فقط ؛ بل كانت تعمل على تكييفها وتلوينها بألوان خاصة دعايات وإيحاءات قد يكون أبعد الأشياء عنها الصدق والاخلاص ، ولكنها هبطت على أفئدة متعطشة ظمأى ، ونفوس قلقة حائرة ، فأثمرت ثمارها ، وحمد أصحاب

« الدعايات » لأنفسهم نتائج مسعاهم ، وتنبه من عمات فيهم هذه « الدعايات » إلى حقيقتها ، ولكن بعد فوات الوقت فاكتفوا بأن وصفوها بأنها « لعمنة » !



هتلر .. وكيل (الأومباشى)

ولنبدأ كتابنا هذا ، بذكر خواطر ، جاشت بنفس جندى من جنود الميدان الغربى ، كان يعمل فى الصفوف الألمانية ، جاداً ، مطيعاً ، دؤوباً ، حدث له فى شهر أكتوبر سنة ١٩١٨ أى قبيل انتهاء الحرب مباشرة ، أن أصابته

قذيفة من الغاز السام آذت عينه أشد الأذى أو أحالتها جمراً متقداً كما قال وهو يصف حالته ، فنقل إلى أحد مستشفيات بوميرانيا ، حيث أجريت له (عملية) وعصبت عيناه ، فاكتفى فى مشاركته المرضى المقيمين معه بادارة الأحاديث والسماع لما يقال . . ولكن نصيبه من الاصغاء كان أكبر ، قال صاحبنا :

أحاديث المستشفى

« كان الجميع يتكلمون عن انتهاء الحرب ، فى سرعة عاجلة ، ولكن لم يدر بخلد أحد من المتحدثين أن النهاية ستأتى هكذا سريعاً . . .

« وفى شهر نوفمبر زاد القلق ، وعم الاضطراب ؛ وذات يوم أقبلت الكارثة تهوى على الآذان والأفئدة كالصواعق المنقضة ، لا تخبر ولا تنذر . فقد أقبلت جماعات من بحارة الأسطول فى سيارات النقل ، تنادى بالثورة ،

وتحض الجميع على الاشتراك فيها من أجل حرية الوطن ، وجماله ، ومكانته . وكان يقود هذه الوفود المنذرة نفر من الشبان اليهود ، الذين لم يشهدوا جبهة القتال يوماً ، ولم يشتركوا فى معاركه المحتدمة . . .

« وتتالت الأنباء فكانت أسوأ وأفدح ما عانيت طول الحياة . وزادت الاشاعات ، وظهر أن ما تخيلته حدثاً عارضاً ، قد تحول إلى ثورة شاملة . وزاد فى شدة البلاء الذى كان يهبط على نفسى من أفواه المنبئين ، أخبار الهزائم التى كانت تحل بجبهتنا المقاتلة .

« وفى اليوم العاشر من هذا الشهر ، قدم إلى المستشفى راهب عجوز ، فتحدث ، وكان فى كلامه القول الفصل . . كان المسكين يرتجف وهو يقص علينا كيف انتزع آل هوهنزلرن من عرش الامبراطورية الألمانية ، وكيف استحال وطننا إلى جمهورية .

« وإذن . . .

« وإذن كان كل شيء عبثاً فى عبث . لم كنا نضحى ؟ وفيم كان الألم والعناء . . أيذهب هباء كل هذا الوقت الذى لا عدد لشهوره ، ولا آخر لأيامه . . الذى قضيناه جوعى حتى السغبة ، وعطشى حتى الهلاك ؟ أتضيع عبثاً كل هذه الساعات التى قضيناها نؤدى واجبنا ونحن نرتجف من الموت الهابط علينا أو الزاحف إلينا . . أكان عبثاً حقاً ما ألقينا فى الأتون المتقد من رجال أحرقتهم الحرب ، فاستحالوا رماداً . . ولم يكن قليل عددهم . . كانوا مليونين من الرجال ! !

« وبلادنا ؟ !

« ولكن أكان هذا كل ما يطلب منا ؟ أكانت تستحق ألمانيا التى عهدناها فى الماضى أقل مما قدرنا لها ؟ ألم يحملها التاريخ أمانة ، ويطالبها بدين واجب الوفاء ؟ أنستحق — حقاً — أن نلصق أبداننا ، وندفن رؤوسنا

فى إمجاد ماضينا ؟ وبعد ، فبماذا ستحكم على هذا العمل أجيال المستقبل القادم ؟ »

كان رأسه يحترق ، وكلما أطال التفكير فى الهزيمة المنكرة وأسبابها استبد به الغضب ، واحترق فى جحيم من الخزى والخجل فما أحس فى ذلك الوقت بالجمر الذى يكوى عينيه من غاز الأعداء ، لأن روحه كلها كانت تحترق . .

« ضاع كل شىء . .

« وما أقسى الأيام والليالى التى ستظلنا بعد حين . وفى ظلال هذه الفترة فى المستشفى زاد كرهى لهؤلاء الذين أثاروا الفتنة ، وأطلقوا شياطينها .

« وكان الامبراطور وليم أول عاهل ألمانى خطا نحو الماركسية خطوة ، ومد يده إلى زعمائها ، فما كان يدور بخاطره أنهم حزمة من اللئام الذين تمزق شرفهم ، فبينما أمسكوا اليد الامبراطورية التى مدت لهم باليمين كانوا يتأهبون بيسراهم لانفاذ الطعنة النجلاء .

« وليس يمكن مع اليهود أن تجد حلاً وسطاً ، أو سبيلاً للتفاهم والتراضى ، فكلمتهم القاسـية العاتية ، دائماً . إما القبول — وإما الرفض .

« ومنذ ذلك الوقت قررت أن أعمل فى السياسة » .

الرقيب

عادت الجيوش الألمانية المحطمة من الميدان ، وخرج هذا الجندى الذى نقص قصته ، من دار العلاج ، تائهاً ، ضائعاً ، ولـكنه كان ثائر النفس ، ملتهب العاطفة .. وقصد إلى ميونخ حيث تقيم فرقته التى عمل معها أيام الحرب . وكانت الدنيا من حوله تغلى . قلق يشبه الجنون ، وحيرة وفوضى فى كل مكان . وكان لا بد للادارة القائمة من مراقبة الحركات السياسية فى المدينة ، والوقوف على مداها . فانتدبت عددا من الجنود ، الذين اشتغلوا أثناء الحرب فى قلم المخابرات ليندسوا وسط الجماعات ، ويراقبوا أحوالها .

وكان صاحبنا ، من بين من وقع عليهم الاختيار للقيام بهذه المهمة ، فلم يكره أن يقوم بها لأنه أولاً وقبل كل شيء كان جنديا ، لا بد له من الطاعة ، وكان بعد هذا ظمآن النفس ، يريد أن يعرف السبيل التى يسلك فى حياته الجديدة ، بعد أن عزم على الاشتغال فى السياسة . . ومن يدرى ؟ فعسى أن يهديه الاختلاط إلى ما يفيده ويرشده . وكان من نصيبه أن يراقب جماعة ألفوا من أنفسهم حزباً أسموه حزب العمال الألمانيين فاختلف إلى مكانها ، وأخذ يصغى إلى أحاديث الأعضاء ، فاسترعى انتباهه محاضر لبق اسمه (فدر) كان يتكلم عن الاقتصاد ، ويبدى فيه نظريات عنيفة ، صارمة ، وكان يوجه اهتمامه بصفة خاصة إلى الطبيعة الاقتصادية لليهود وللجنس الآرى . ويفصل القول تفصيلاً صادف هوى فى نفس الرقيب الجديد . وما لبث أن أغرم بهذه المباحث ، وأعجب بصاحبها ، وتحمس له ، وناقشه . ولفت حواره مع خطيب الجماعة أنظارهم له ، فدعوه

للانضمام لهم . . . . فتردد فى القبول ، ثم طلب مهلة يومين ليفكر .

فكر وقدر

آوى صاحبنا إلى فراشه واستعرض رحلة حياته حتى هذه اللحظة فطافت برأسه صور وخواطر ، وأخذ يحاور نفسه قائلاً :

ما أعجب تصاريف القدر ، ففى ٢٠ ابريل سنة ١٨٨٩ ولدت فى بلدة «إن» النمساوية ، ضائعاً مجهولاً من أب كان يعمل فى الجمارك ، موظفاً ، وأم مجرية من مدينة براغ ، وكنت فى حداثتى صبيا ضعيفاً نفوراً ؛ تلهيتى الكبرى فى أن أطوف شوارع القرية الصغيرة راكباً عصا مكنسة ، ورافعاً على طرفها البارز قبعة عسكرى ، غراماً بالجندية وحياتها . وكان لى فى المدرسة غرام بقراءة سير الأبطال الفاتحين أمثال اسكندر وقيصر ونابليون .

وفى سن الرابعة عشرة خسرت ابوى . فهجرت القرية ورحلت إلى ڤينا العاصمة طلباً للرزق فلم أجد مكاناً يأوينى غير دكان نجار . وهناك علمت من هو كارل ماركس ، وكنت أقرأ كتبه بشغف ، ولكن اعترض مجرى حياتى اليهود ، بما نفرنى منهم ، فأخذت أوجه قواى — الضئيلة إذ ذاك لمناهضتهم — وحالت الحكومة دون أن أبرز نشاطى ضد هذه الفئة فى الصورة التى أريدها ففكرت فى الهجرة إلى ألمانيا ، حيث أعيش فى الوطن الذى ضم بسمرك الرجل العظيم الجبار .

ألقيت عصا التسيار فى ميونخ ، واحترفت النجارة نهاراً ، والرسم ليلاً ؛ وظللت أكافح — مجهوداً ، مكدوداً — حتى اندلعت ألسنة الحرب . وهأنذا أعود من الميدان ، وتعاودنى آمال الصبى ، وطموحه ؛ وتغذينى ذكريات الحرب وآلامها .

والآن تدفعنى الأقدار فى محيط جماعة جديدة ،

ويفتح أمامى بابها . . فهل أؤمل ؟ . .

ولم لا ؟ . .

العضو رقم ٧

عاد صاحبنا بعد يومين ، وأعلن لجماعة العمال الألمانيين قبول اقتراحهم . فوقف خطيبهم وقال :

« قرر حزب العمال الألمانيين قبول « أدولف هتلر » — فهذا اسمه — عضواً فى مجلس إدارته ، وأعطاه رقم ٧ » .

وبذا بدأ تاريخ ألمانيا الجديد يخط سطوره . . .

قال هتلر عن هذه الجماعة :

« لم يكن لها من النظم إلا بعض مبادىء قليلة ، فليس لها برنامج ولا نشرة ، ولا مطبوع من أى نوع . . . ولكن كانت تزخر بالايمان وبالنوايا الطيبة . . . تحققت من أن هذه الجماعة تشعر ، وكانت تحمل بذور حركة جديدة . قد تكون أوسع نطاقاً مما تؤديه كلمة حزب من

معنى . وكأنما القدر كان يسوقنى ؛ فلم أفكر فى الالتحاق بحزب من الأحزاب الكبيرة الموجودة ، لأنى وجدت أن هذه الجماعة الصغيرة ، التى لم تحدد خططها بعد ، تصلح ميداناً خصباً للنشاط الشخصى . وكان لا بد من عمل حاسم ، وكلما كانت الحركة ضيقة الرقعة أمكن أن تشكل بالشكل الذى يراد لها » .

وكان التحاق هتلر بالحزب فى ٧ يوليو سنة ١٩١٩ . وظل تحت تصرف فرقتـــه العسكرية حتى شهر يونيو سنة ١٩٢٠ .

ولم يجد هتلر كبير مشقة فى السيطرة على الحزب ، فبدأ بتغيير اسمه إلى « الحزب الوطنى الاشتراكى » ، واختصر الاسم فصار « النازى » .

فقر وإيمان

لم يكن أعضاء الحزب يزيدون على الستين وكان مجلس إدارته وهم الأعضاء العاملون سبعة فقط ، وكانت تضطرم

نفوسهم بآمال كبار ، أقنعوا أنفسهم بها ، بل وصلوا فى تفكيرهم لا إلى وجوب إنشاء ملكية ، أو إيجاد جمهورية ، ولكن إلى ضرورة خلق ألمانيا جديدة .

أقنعوا أنفسهم بهذا ، وبقى أن يقنعوا الناس بما آمنوا هم به . ولم يكن اسم هتلر ، ولا أصحابه ، من الأسماء اللامعة المعروفة حتى تغرى الناس بالاقبال عليهم ؛ ولم يوجد فى ميونخ — غير أعضاء الحزب — من يعرف شيئاً عنه ، حتى اسمه . وإذن فلابد من عقد اجتماعات يتحدث فيها . . ولكن عقد اجتماع يحتاج إلى إذاعة فى الصحف ، والصحف لا تذيع لجماعة مغمورة ضائعة ؛ ويحتاج إلى بطاقات دعوة ، وليس لدى الحزب مال ينفقه على طبع البطاقات ، ومع هذا فلا بد من العمل . . .

قرر أعضاء مجلس الادارة ، أن يعقدوا اجتماعاً كل شهر ، ثم كل أسبوعين ؛ وبدلاً من أن يطبعوا بطاقات ، أخذوا يكتبونها بأيديهم ، أو على الآلة الكاتبة . وبعد أن

كتبت البطاقات ، جدت مشكلة توزيعها ، فليس لدى الحزب ثمن طوابع البريد التى يرسل بها هذه الدعوات ؛ وإذن فليوزعها الأعضاء بأنفسهم . روى هتلر عن نفسه : « إنى لأذكر أنى وزعت بنفسى نحواً من ثمانين دعوة ، فى مناسبة ما ، وفى المساء انتظرنا الجموع التى توقعنا أن يجىء . ومضت ساعة على بدء الاجتماع ، وبعدها اضطر الرئيس إلى افتتاحه ، ولما يأت غير الأعضاء السبعة الذين دعوا له . وبعد قليل من الزمن أمكن للحزب أن يحصل على دراهم قليلة أعطاها لجريدة محلية ، لتعلن عن موعد اجتماع جديد . وفى الساعة السابعة من مساء ذلك اليوم أقبل ١١١ شخصاً ، فبهرتنا كثرتهم . وبدأ أحد الأساتذة المدرسين فى الكلام ، ثم وقفت بعده لأتحدث . واستمرت خطبتى ثلاثين دقيقة . وقد علمت بعد هذه الخطبة أنى أستطيع أن أتكلم . فقد تكهرب جو القاعة الصغيرة ، وسرى تيار من الحماسة فى نفوس الحضور ، فاكتتبوا لنا بثلاثمائة مارك » .



هتلر الخطيب :

« وقد علمت بعد هذه الخطبة أنى »
« أستطيع أن أتكلم فقد تكهرب »
« جو القاعة الصغيرة ، وسرى تيار »
« من الحماسة فى نفوس الحضور ، »
« فاكتتبوا لنا بثلاث مئة مارك »

وتدرج الحزب فى اجتماعاته من نجاح إلى نجاح بفضل خطيبه الجديد ، الذى أصبح بعد قليل رئيسه .

سلاح الخطابة

كان الهجوم على معاهدة فرسايل ، هو محور خطابة هتلر . وإذ أمكن تدبير المال للاعلان عن الاجتماعات ، فلم يكن ضبطها وحمايتها أمراً هيناً فقد كانت هناك هيئات سياسية تحمل الحقد العظيم للحركة الجديدة . وكان رأيها تعكير صفو الاجتماعات النازية ، وأثارة الشغب فيها . وقد روى هتلر مشهداً طريفاً من مشاهد الصراع فى هذه الاجتماعات قال : وصل أعداؤنا إلى مقر الاجتماع مبكرين ، ولم يكن موجوداً من أعوانى غير خمسة وأربعين رجلاً ، ناديتهم وأخذت أوضح لهم أن اجتماع الليلة هو لنا بمثابة حياة أو موت ، وعلى كل منا أن يضع فى ذهنه ألا سبيل إلى مغادرة القاعة إلا إذا حملنا جثثاً هامدة . ولم يكن فى

حسابى أن أحداً منهم سيخل بوعده ، ويتركنى . وقلت لهم أنى إذا لمحت أحداً منهم جبن ، فانى سأمزق شارته بنفسى وطلبت منهم أن يبادروا عند أول محاولة لتعكير صفو الاجتماع بالقمع وأن يتذكروا دائماً أن الهجوم خير وسائل الدفاع .

دخلت إلى قاعة الاجتماع ، وحييت ثلاثاً بحرارة ، وحماسة زائدة . ولاحظت أن أعداءنا — وقد جلسوا متقاربين — يحاولون تمزيقى بسهام نظراتهم واتجهت نحوى وجوه لا عدد لها ، ارتسم الحقد على معالمها . .

ظللت أتكلم ساعة ونصف ، وإذا باشارة خاصة تعطى وهنا تصاعدت من بين الصفوف صيحات غضبى تقول : « الحرية ! » وفى ثوان ذاع القلق ، وضج ضجيج القوم ، وطارت المقاعد تهوى فوق الرؤوس .

وهنا اندفع جنودى كالعاصفة المجتاحة ، وأخذوا يهاجمون الشاغبين فريقاً فريقاً ، فاكتسحوهم هوناً ما ،

وبعد خمس دقائق ، تعذر على أن أجد واحداً من أعوانى ، لا ينبجس الدم من جراح فى رأسه وكان منهم موريس ، وهيس ، وغيرهما كثيرون الذين استمروا فى عملهم ما أمكن لسوقهم أن تحملهم .

وبقى عدد كبير من الأعداء فى ركن من أركان القاعة ، أصر على المقاومة حتى النهاية . وفجأة سمعنا دوى طلقتين من مدخل القاعة فى اتجاه المنصة . وهنا عاد الصياح إلى أشده . وقد ابتهج فؤادى من هذا الدوى ، إذ جدد فى ذهنى ذكريات الحرب . واستحال علينا أن نعرف من أين انطلقت هاتين الرصاصتين . ولكن عاود رجالى — على قلتهم — الهجوم بروح متجددة ، وتمكنوا آخر الأمر من طرد المشاغبين وإجلائهم عن القاعة .

وقد دامت المعركة خمساً وعشرين دقيقة ، فزنا بعدها بالسيطرة الكاملة على الاجتماع . وتابعت الكلام . .

الفورة الأولى

فى الإنتوود المتقد

وجدت الحركة الوطنيــة الاشتراكية فى شخص زعيمها الجديد ، عنصراً من عناصر الحياة اللازمة ، فلم يكن يلزمها إذ ذاك عقل جبار ، ولا تعمق فى التفكير ، أو فلسفة لطبائع الأشياء ؛ وإنما كانت تحتاج إلى العمل .. والعمل وحده .

وهناك نوع من الحركات يحتاج إلى نضوج فكرى كامل ، وأناة وتبصر ، ولـكن فى الوقت الذى تشتعل فيه النيران ، لا يكون المجال للمفكرين ، ولـكن لأكثر الناس جلداً ، وأقواهم على الاحتمال .. وقد وفر لهتلر ماضيه الخشن هذه الطبيعة العاملة الدءوب ، فاذا أضفنا إليها

إيماناً تفجرت به نفسه بعد سنى الحرب مباشرة ، أمكننا أن ندرك السر فى نجاحه ، والذى يلخص فى كلمتين : إيمان وعمل

أدرك هتلر أنه محتاج إلى سواعد قوية تحميه ، وتحمى حركته ، فى الصراع المادى الذى قدر أنه سيخوضه ، فألف فرق الهجوم ، واختار لها شعارا الصليب المعقوف ، وقد حاول كثيرون أن يقفوا عند هذا الرمز يفكون طلسمه ، ويستجلون سره .. فقال البعض إنه شارة من شارات أهل الشمال الذين كانوا يعبدون الشمس قديماً ، وقال غيرهم : إنه رمز للشفاء كانت تدجل به كهانة القرون الأولى ، وقال آخرون : شارة وجدت على معابد الفرس ، ترمز إلى التوفيق .. ويخيل لنا أن الأمر أبسط من كل هذا التعقيد ، فهو صليب ، التوت أطرافه لترمز إلى العنف والقوة ، أو لكى لا ترمز إلى شىء ، وإنما لتميزه عن شارة المسيحية المعروفة ، وروعى فى اختياره أن يكون سهل

التصوير ، سهل الرسم ، حتى يكون فى متناول الجميع

فالقميص ، ووحدة الشعار ، وتعطش النفوس إلى العمل ، وجد هتلر وجلده .. كل أولئك مكن للحركة من أول أمرها ، وزاد نشاطها فى الدعاية فى تصديرها من ميونخ إلى البلدان القريبة منها .

وكانت ألمانيا فى أتون متقد نتيجة لتطبيق معاهدة فرسايل ، فالشعب ساخط حائر ، والهزيمة وآثارها تكوى نفوس الألمانيين . وقد زاد الطين بلة تعنت الحلفاء ورغبتهم فى التنكيل بألمانيا . ونظر الشعب حوله يلتمس عوناً يدفع عنه البلاء الزاحف ، وانتهز الوطنيون هذه الفرصة ، فتقدموا بخطبهم النارية وحماستهم المتقدة ، يصورون للشعب آماله ، ويقفون بين الأحزاب المختلفة موقف الهداة المنقذين .. فقد أرسل الحلفاء مذكرة إلى ألمانيا يفرضون عليها تعويضات جائرة وأخذوا يجردونها من سلاحها ، فنظم هتلر مظاهرة كبيرة سار على رأسها ،

ومن ورائه ستة آلاف نصير يصيحون فى وجوه الألمانيين بألا يخنعوا وألا يخضعوا . .

وفى مطلع عام ١٩٢٣ أقدم الفرنسيون على احتلال منطقة الرون فى مقابل التعويضات التى عجزت ألمانيا عن دفعها . وقد أنذرت انجلترا حليفتها بخطورة هذه الحركة ؛ ولكن حكومة باريس أصمت أذنيها عن النصح ، وبذا مزقت البقية الباقية من صبر الشعب الألمانى . وبدا للجميع أن حركة هتلر « الثائرة المتهورة » ضرورة لازمة ، وقرر هتلر من ناحيته أن يقوم بعمل إيجابى ، فرفض دعوة الحكومة المركزية إلى التعاون الحزبى ، وحمل على السياسة الحزبية حملة منكرة عنيفة ، وحملها وصمة الهزيمة .

وسافر بعض جنود النازى إلى منطقة الرور ، وحاولوا أن يثيروا هناك العصيان والقلاقل ضد فرنسا ، فأرعدت باريس وهددت ، وضعفت برلين وسلمت للفرنسويين الزعيم النازى الثائر فى تلك المنطقة ألبرت ليوشلبجتر ،

فنكلوا به وصبوا عليه الوان العذاب .

وفى ١٦ سبتمبر سنة ١٩٢٣ تخلى الوزير المشهور سترزمان عن معاضدة المقاومة السلبية ، وتولى الوزارة الجنرال جسلر . وقد غضب الشعب لهذا الاذلال ، وزاد فيه الكساد الاقتصادى المروع الذى أغرق البلاد ، والذى أصبح فيه الريال الأمريكى مساوياً لـ ٤٫٠٠٠٫٠٠٠ مارك .

القلق

« لا بد من عمل » .

والعمل فى حساب هتلر ، هو ثورة ، تقلب حكومة باڤاريا ، وتزحف إلى برلين ، تقليدا لموسولينى فى زحفه على روما ، ولكن لا بد من تأمين الطريق ، وقد خيل للهتلريين أنهم قاب قوسين من تحقيق أمامهم ، عند ما كاشفوا بعض أعضاء الوزارة الباڤارية بعزمهم على إحداث الانقلاب ، فشجعوهم وآزروهم ووعدوهم بالعون والتأييد ، والمشاركة الكاملة .

وأخذ هتلر يحضر لحركته ، والدنيا من حوله قلقة .
وقد أحست الصحف والدوائر الرسمية بما ينتوى ، فصرحت الحكومة بعزمها على مقاومة الوطنيين الاشتراكيين بكل حزم ، وحظرت عليهم عقد الاجتماعات التي ينتوونها . وقد رد هتلر على الحكومة بأنه ماض في عزمه ، وتحدى السلطة ، ودعاها إلى النزول في الميدان .. فلم يكن هناك بد من إعلان الأحكام العرفية في صورة مخففة ..

في شهر نوفمبر

في ٩ نوفمبر سنة ١٩٢٣ عقد الهر فون كاهر مندوب الدولة العام في بافاريا اجتماعاً في ميونخ ، ليلقي خطبة ، وحدث عند انتهائه من كلامه ، أن أقبل جمع من لابسي القمصان البنية يبلغ عددهم ست مئة شخص على رأسهم هتلر واقتحموا مكان الاجتماع مطلقين النار من مسدساتهم

ووقف هتلر ، وتكلم معلناً سقوط الحكومة ، وإنشاء حكومة مركزية لدول الاتحاد الألمانى تكون عاصمتها ميونخ . وذكر أنه ألقى القبض على الهر كينلنج رئيس الوزراء ، والهر سباير وزير الداخلية ، وأعلن إنشاء حكومة جمهورية جديدة قوامها ثلاثة أشخاص ، أخذ هو على عاتقه إدارة الشؤون السياسية ، وأخذ المارشال لودندورف القيادة العامة لجميع الجيوش الألمانية . وبعد أن انتهى هتلر من خطبته لمح عدداً من ضباط الجيش فصاح فيهم قائلاً :

— ألا تعترفون بالحكومة الجديدة وتنضمون لها ؟

فقوبل هذا السؤال بالتصفيق الشديد ، وطلب الجمهور حضور المارشال لودندورف ، والجنرال يوهمر فجاءا وقوبلا بهتاف صم الآذان .

ولكن ما كاد ينتهى الاجتماع حتى أقبل جنود الحكومة لقمع حركة الانقلاب ، فاعتصم هتلر ولودندرف

بوزارة الحربية ، ولـكن تغلب عليهما جنود الحـكومة ، وألقيا القبض عليهما ، وقتل أربعة عشر شخصاً فى المعارك التى دارت فى شوارع العاصمة الباڤارية . ولـكن تمكن هتلر من الفرار ، وقد أصيب بجرح فى ذراعه ، وخلع فى كتفه الأيمن ، وأفرج عن المـارشال لودندورف بعد أن أقسم بشرفه العسكرى ألا يشترك فى الحركة ، ثم عاد ففسر وعــده بأنه « لا يعنى أنه سيمتنع عن الاشتراك فى الحركة القومية ، التى لا يزال مكرساً نفسه لها . وأن وعده لا ينطبق إلا على إقامته فى ميونخ .

وفى ١٣ نوفمبر ألقى القبض على هتلر فى جنوب باڤاريا فسلم نفسه دون مقاومة » .

أمام القضاء

قدم للمحاكمة هؤلاء الثائرون : هتلر ، وثمانية من أعوانه ، ووجهت لهم تهمة الخيانة العظمى . وبدأت

محاكمتهم فى الأسبوع الأخير من شهر فبراير سنة ١٩٢٤ . وقد اتخذت أثناء نظر القضية إجراءات شاذة خشية أن يهجم أعوان هتلر على دار المحكمة .

وقد كانت المحاكمة أسلوباً جديداً لجأ إليه هتلر لاذاعة مبادئه وخططه ، كما تضمنت اتهاماً وهجوماً عنيفاً على الوزارة الباڤارية ، وعلى الدكتور فون كاهر ، والجنرال لوسوف ، ومدير البوليس الذين نكثوا بعهدهم للثائرين ، وحاربوهم بعد أن ظاهروهم أول الأمر . واضطرت المحكمة أزاء خطورة الاتهام ، ورغبة فى أن تحول دون إذاعة آراء هتلر ، أن تجعل المحاكمة سرية فى بعض مراحلها .

وقد تلا لودندورف شهادته ، وسط مظاهر التأثر من جمهور المستمعين . . ومما قال أنه رجل طاعن فى السن ، ولكنه لا يزال يحمل قلباً فتياً ، ويرغب رغبة صادقة فى أن يرى الشعب الذى يحبه متمتعاً بحرية . ثم ندد بالشيوعيين ودعاة الماركسية ، وأعلن عداوته لليهود . وأعلن بدوره

اتهام الدكتور كاهر والجنرال لوسوف بأنهما لم يعملا بشرف وأمانة ، وبأنهما « كذبا ، وهما يمدان يديهما للمصافحة » وقال فى لهجة التأكيد : « إن إطلاق البوليس النار على الوطنيين وهو على رأسهم اغتيال مخجل » وختم دفاعه بقوله : « لقد انتصرت الروح الوطنية الاشتراكية على الرغم من العراقيل التى قامت فى سبيلها من خيانة واغتيال ونكث للعهود . . . لقد خابت آمال أعداء البسمركية ، فالحركة الوطنية عزيزة وطيدة الأركان تستطيع بفضل دماء الشهداء التى أريقت فى ٩ نوفمبر أن تبلغ من القوة حداً يمكن معه اتحاد الشعب الألمانى » .

وقد فاز هتلر نتيجة هذه المحاكمة بست سنوات يقضيها سجينا فى حصن لندسبرج بباڤاريا .

السجن

لم يكن سجن هتلر هزيمة بل كان نصراً عظيماً لروح

حركته من الناحية المعنوية وإن كان قد حطم هيكلها المادى .. فقد عم العطف عليه فى كل مكان . ونظر إليه كثرة الباقاريين ، وبعض الألمانيين فى الشمال ، نظرتهم إلى المسيح . بل هذا ما أكده الجنرال لوسوف أثناء المحاكمة بعد أن امتدح مقدرته الخطابية قال : « إنه يعد نفسه فى ألمانيا كما كان غامبتا فى فرنسا ، وأنصاره يرون فيه مسيح البلاد الجديد » .

بقى هتلر فى السجن إلى شهر ديسمبر سنة ١٩٢٤ . وفى هذه الفترة ألف كتابه « كفاحى ... »

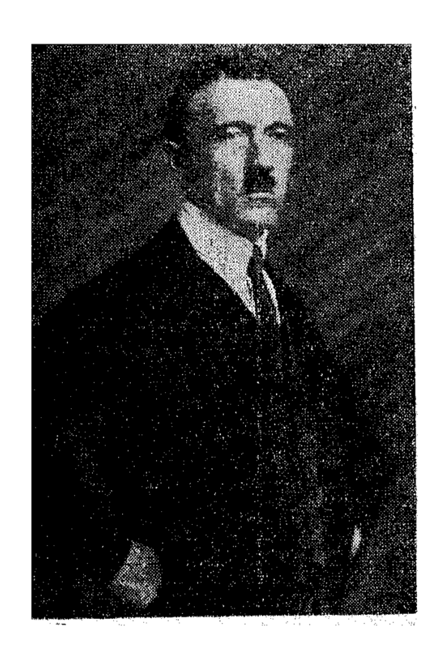
وقد ذكر فى مقدمته « أن الحزب الاشتراكى للعمال الألمانيين حل فى ٩ نوفمبر سنة ١٩٢٣ ، أى فى العام الرابع من ابتدائه العمل ، وصودرت مظاهر نشاطه فى جميع أنحاء ألمانيا . وفى أول أبريل سنة ١٩٢٤ حكمت محكمة ميونخ بسجنى فى قلعة لندسبرج . وقد أتاح لى السجن الفرصة الأولى التى أستطيع فيها إتمام عمل ، طالما طولبت

به ، لعظم فائدته للحركة . وقد عزمت على أن أشرح الأغراض التى نبتغيها من حركتنا ، وأن أرسم صورة لتطورها حتى الوقت الذى أكتب فيه . . . . وإنى لا أكتب هذا الكتاب لمن يعيش خارج نطاق حركتنا ، بل أكتبه لهؤلاء الذين ربطتهم عواطفهم بها ، ويرغبون فى استجلاء حقائقها بالكتابة دون الخطابة . إذ أنه لا يمكن لحركة عظيمة فى الدنيا أن تنال حظها من النمو ، إلا إذا عاونها عظماء الخطباء ، لا فحول الكتاب . . ومهما يكن الأمر ، فان الدفاع عن عقيدة من العقائد يقتضى تسجيل مبادئها الثابتة » .

والكتاب فى جملته لا يحمل طابع العقل المنظم ، فهو أشبه بخطبة متدفقة ، تتضمن الكثير من المبادئ العليا ، والحقائق الواضحة ، والايمان العميق ، اختلطت بعضها ببعض فكونت كفاح هتلر ، المسجل فى كتابه ، والذى عاش عليها حتى الآن .

فهو يتكلم فى مطلع الكتاب عن نفسه رداً على حملات اليهود التى كانوا يذيعونها فى صحفهم عنه وعن أسرته ويتكلم عن الحرب وتجاربه فيها ، ثم عن بدء اشتغاله بالسياسة ، ويستطرد إلى ذكر آرائه فى الوطن والجيش ، حاملاً على اليهود فى غير هوادة . ويذكر آراءه فى الدولة ونظمها والجنسية وحدودها ، وينتقل إلى البحث فى طبيعة النظام ، وبعض الأحداث التى أصابت حركته فى بدئها ، ويصرح هنا وهناك برأيه المر القاسى فى الشيوعية ، ثم يصرح فى ختام كتابه ، ودون احتياط برأيه فى الشرق والشرقيين .

وقد طبع هذا الكتاب أول مرة سنة ١٩٢٥ ، ثم تعددت طبعاته ، وكان مؤلفه ينقح فى كل طبعة حسب مقتضيات الظروف والحالة الدولية ، وأحصى مجموع ماوزع من نسخه حتى آخر سنة ١٩٣٥ فبلغ ١٫٩٣٠٫٠٠٠ نسخة وثمن الواحدة منها أكثر قليلاً من سبعة ماركات ذهبية أى نحو ستين قرشاً .



هتلر .. الزعيم الناشئ

ماذا يقولون ؟

خطب هتلر كثيرة ، وبرنامج حزبه واسع فسيح الجنبات ، وقد تضمن كتابه « كفاحى » نواحى النقص فى السياسة الألمـانية والمجتمع ، وذكر العلاج . ولا شك أن الفرصة كانت مواتية .. مواتية جداً ، لـكى يلقى الزعيم الناشئ بالبذور المنتقاة فى أرض خصبة ، القوم جوعى ، والنفوس كسيرة ، والآمال مبددة ، والوضع الجمهورى فى ظل الاشتراكية والشيوعية ، مما لا تألفه طبيعة الألمـانى الصميم ، إلا تحت ضغط الظروف الطارئة .

وقد وجد هتلر بنشاطه الجم ، وبلاغته المتدفقة جمهوره ولفت له نظر أصحاب الأعمال ، أو من يسمون بالرأسماليين فعاونوه ، وأمدوه بالمـال ، فقبله منهم ، على الرغم من أنه

« اشتراكى » وطنى ، وكان حزب أول الأمر حزب عمال . .

وفى برامج الأحزاب ، يحسن أن تحدد الوعود تحديداً واضح المعالم ، وأن تكون الرغبة فى الاصلاح والتجديد والتعمير مبنية على فقه عميق بحقائق الحال ، ولا سيما فى نواحى الاجتماع و الاقتصاد . وقد ذكرنا أن الاقتصاد وبحوثه كان أول ما لفت نظر هتلر إلى حزب العمال ، ولكن هل قامت الدراسات على أسس من الأرقام والاحصاءات . . لا . ولكن جاءت الأرقام أخيراً فحددت الرغبات وحصرتها . أما فى الاجتماع ، فقد كان الأمر واضحاً . إذ يكفى أن ينظر الفرد إلى نفسه ، وإلى قومه الأدنون ، ليرى أين هو من الرضى والاطمئنان ، وأين حالته مما يرجو ويتمنى . . ومع هذا فقد كانت برامج الاصلاح الاجتماعى محتاجة إلى نظرة أعمق من التى نظر إليها هتلر ، وكانت كل دقيقة تمضى عليه تزيده إيماناً بما اقتنع به أول الأمر

من وجوه الاصلاح ، حتى إذا مضت عليه أعوام قليلة ، تمكن من فلسفة دعوته ، ومن إيجاد من يآزرها من أصحاب العقول الكبيرة والبصيرة النافذة .. كانت الحركة أول الأمر إحساساً بالنقص ، وإيماناً بضرورة العمل ، وعلى أسس الاحساس والايمان بنيت البرامج . .

وإنا لنذكر على سبيل المثال الطريقة التى فكر بها هتلر فى بعض المشاكل ، وسنرى أنه تفكير سليم ، مبنى على حقائق بسيطة يتعذر وجود خلاف معها .

الدولة

حمل فى كتابه « كفاحى » حملة منكرة على هؤلاء المدرسين والأساتذة الذين يتخذون سياسة الأمر الواقع موضوعاً لمادتهم . . فقد بدلت معاهدة فرسايل ألمانيا خلقاً جديداً ، تبغضه نفوس الألمانيين وتنكره ضمائرهم ولكنه فى نهاية الأمر ، الوضع الحاضر للدولة الألمانية ،

وإذن لم يكن بد من أن يتعلم الصغار ، وتفهم الناشئة بلادهم التي يعيشون فيها الآن ، لا التي يجب أن يعيشوا فيها . . وهل يطلب من مدرس تؤجره الدولة الخانعة الخاضعة ، أن يعبر عن عاطفة ساخطة ، أو فكرة وطنية ملتهبة ، وهو يتناول أجره ، وقوت يومه وعامه ، من هؤلاء الذين صنعوا الدولة الحاضرة ، وقاموا على أمرها . وقد اختلط الأمر على هؤلاء المدرسين ، والمتحدثين ، فغرض الدولة عند نفر منهم مجموعة من الناس اضطرها ظرف ما إلى أن تخضع لنظام حكم قائم . وهي عند نفر ثان لا تعني تركز السلطة ولا تصريف الأمر تحت ظل مسؤولية كاملة ، بل تختلط كلمة الحرية عندهم بكلمة السلطة في تشويش وفوضى لا ضابط لهما ، وهي عند نفر أخير منهم آلة تسعى سعياً غير محدود ولا مفهوم لخير مجموعة من الناس ، يتكلمون لغة واحدة . .

أما ما هي غاية الدولة ، فقد قال عنها هتلر :

« ينبغى أن ندرك أن الدولة وسيلة لا غاية . هى مؤسسة ترتكز عليها أعلى الثقافات البشرية ، ولكن لا تستمد منها الكيان والوجود . . . . . ولا بد كشرط أساسى لانشاء دولة فى مستوى إنسانى رفيع ، أن تكون مشتقة من الجنس الذى يحوز صفات وخصائص تؤهله لها » .

وبعد أن أسهب فى الحديث عن اختلاط الدماء وتأثيره وعن الجنس الآرى ومزاياه قال : إن واجب الدولة الأول هو أن تعلو بالزواج فلا يكون أداة عار خالد للجنس الذى ينتمى إليه أحد الزوجين ، وأن تنظر إليه نظرة تقديس . فهو مؤسسة ، يقصد منها إنتاج صورة الله ، لا إنتاج مسخ نصفه قرد ونصفه إنسان .

ومن واجب الدولة أن تنهض كل ركن متداع ، وأن يكون موضوع الجنسية محور أعمالها . ويجب أن تنظر إلى الطفولة كأثمن ما تمتلكه الأمة . ولا بد أن يقصر انجاب

الأطفال على الأصحاء ، فليس هناك عار أفدح من طفولة تخرج إلى الدنيا متعثرة فى أمراض لا ذنب لها فيها . فعلى الدولة أن تحول دون هذه الجريمة بالتشريع والتعليم ، وأن تقدم للطفولة الجديدة ما يكفل لها النماء الصالح الصحيح . أليس يجوز أن يعتنى المجتمع بانجاب الأطفال ، كما يعتنى بتوليد وإنسال الخيل والحمير والكلاب والقطط . لا بد من محق الأنانية فى الزواج ، ومن وجود سلطة تسبق سلطان الكنيسة ، وتقضى بقضائها فى إبرام عقود الزواج . .

الوطن فى حاجة إلى أجساد قوية ، ولا ينبغى أن نترك تنمية الأجسام وتقويتها إلى الأفراد ، ولكن للدولة نفسها التى تقوم على مصالح الأمة . وإذن فلا بد أن يكون للرياضة المقام السامى وينبغى ألا يهمل فى الرياضة قسم دون قسم ، وعلى هؤلاء « المتعلمين » الذين يكرهون الملاكمة أن يعلموا أنها الرياضة الوحيدة التى تولد فى النفس الشجاعة وروح الهجوم التى يحتاج إليها كل فرد .

كيان الدولة

ونحن نذكر فيما يلي ملخصات سريعة لبرنامج هتلر كما أعلنه في سنة ١٩٢٠ .

نريد تكوين وحدة الشعب الألمـانى لـكى نصل إلى بناء ألمـانيا العظمى .

ونريد المساواة فى الحقوق الدوليـة وإلغاء معاهدتى فرسايل وسان جرمان .

ونريد أرضاً ومستعمرات نغذى منها شعبنا ، وينزح إليها العدد المتزايد من السكان .

ويجب ألا يتمتع بالجنسية الألمـانية إلا أبناء هذا الوطن . والمواطن الألمانى هو الذى تجرى فى عروقه دماء ألمـانية مهما يكن مذهبه ، وبذا يحرم اليهود من الجنسية الألمانية . وينظر إلى كل فرد يقيم فى ألمانيا من غير الأسرة الجرمانية الـكبرى كضيف ، فيعامل معاملة النزلاء الأجانب

ولا يسمح بالاقتراع فى الانتخابات إلا للمواطنين الألمانيين حسب التحديد السابق ، ولا يعمل فى مناصب الحكومة ووظائفها الكبيرة والصغيرة إلا الألمان ، على أن تكون الكفاءة والخلق وحدهما هما الطريق للوصول إلى الوظائف ويأتى هذا من القضاء على فساد النظم البرلمانية الذى يحشد فى الوظائف المنتسبين لحزب معين دون قيد أو شرط .

فى الاقتصاد

واجب الدولة الأول هو الارتقاء بالصناعة وتنمية موارد الرزق ، والعناية بصحة الشعب . وبما أن موارد البلاد لا تكفى لتغذية جميع المقيمين فى الوطن الألمانى ، لهـذا ينبغى طرد جميع الأجانب منها إذا احتاج الأمر إلى هذا الاجراء . ويجب أن تمنع الهجرة من الخارج ، وأن يجبر غير الألمانيين الذين قدموا ألمانيا بعد ٢ أغسطس سنة ١٩١٤ على مغادرة البلاد . ويجب أن تتاح لكل ألمانى

فرصة التمتع بحقوقه الكاملة ، على أن يؤدى واجباته الكاملة ؛ كأن يرتفع بمستواه الذهنى ، وأن يقدم مصلحة الجماعة على مصلحته الخاصة .

ويجب القضاء على وسائل الكسب غير المشروع ، والاثراء بدون عمل أو مجهود ، وما دامت الأمة تبذل فى الحرب أثمن ما لديها من أرواح وعتاد ، لهذا يعد جريمة فى حق الوطن الاثراء من وراء الحرب ... فتصادر جميع الثروات التى اكتنزت فى الحرب الماضية .

ويجب ألمنة جميع الشركات والمصانع .

فى الاجتماع

يجب منح معاشات المحاربين القدماء على أوسع نطاق وفرض نظام التأمين الاجتماعى ، وتقرير معاشات العمال .

ويجب العناية بصحة الطبقة الوسطى من أبناء الشعب بانشاء مراكز صحية ، فى كل مكان ... كما يجب على كل

منطقة أن تعمل على إنشاء الأندية الرياضية وأن تحمى الطفولة وتحول دون تشغيل الأحداث .

ويجب إعادة توزيع الأراضى ، وإصلاح ما يحتاج إلى إصلاح ، وأن يسن قانون ينزع الملكية للصالح العام بدون قيد أو شرط ، ومن الصالح العام القضاء على الملكية اليهودية .

ويجب حماية المجتمع من شرور المراهنات والمضاربات والربى بأنواعه .

ويجب أن يبنى التشريع على أسس ألمانية خالصة ، بدلاً من الأسس الرومانية .

ويجب تشجيع نابنى الأمة ، ومعاونتهم على التحصيل والانتاج العلمى .

وفى الجيش يجب إلغاء مرتبات التجنيد ، وجعله إجبارياً ، كما يجب القضاء على خدع السياسة وأباطيلها التى تتولاها الصحف الحزبية أو المذهبية ، ويتأتى هذا بأن

تدير أداة الصحافة أيد ألمانية صميمة ، وبذا تصادر الصحف التى تحارب الأمة .

وفى الدين ، تصان حريته ، ما دام لا يسبب خطرا ، وليست حربنا لليهود حرباً دينيـة ، وإنما نحن نكره منهم الروح المـادية وشعارنا الدائم « صالح الجماعة قبل مصالح الفرد » .

وعند تحقيق هـذه المطالب يمكن إنشاء دولة مركزية قوية وبرلمان يشرف على السياسة العامة للدولة إشرافاً لا يحتمل جدالاً ، وتكوين نقابات للحرف تنفـذ قوانين الريخ وكل ولاية على حدة .

ويتكون هذا المنهاج العام من ٢٥ مادة ، وقد أقسم زعماء الحزب على السير فى سبيل تنفيذه إلى الأمام دواماً ، وإذا تطلب العمل منهم تضحية فليبذلوها رخيصة ، حتى إذا كانت أرواحهم ...

من السجن الى الحكم

خرج هتلر من السجن ، فوجد أعوانه قد تفرقوا في كل مكان ، ولم يجد لحركته هيكلا ماديا ، وإن وجد العطف يحوطها من جميع الطبقات اللاحزبية . فكان عليه أن يبدأ الشوط من جديد ، فيجمع حوله أعوانه ، وقد قضى هتلر عاما وبعض عام ، في أشد الكرب ، وأعنف العناء ، لأن الحكومة كانت تصادر كثيراً من مظاهر نشاطه ، وعلى الأخص الخطابة ، وفي مارس سنة ١٩٢٥ ، دعا لأول اجتماع فكان نجاحه عظيما . فوق ما كان يقدر أشد المتفائلين .

أخذت الحركة تنمو نمواً سريعاً ، وسجلت وجودها السياسي في انتخابات رياسة الجمهورية ، مؤيدة الرئيس هندنبرج ...

وأصبحت الحركة نظاماً معترفا به حين خاض الحزب الانتخابات النيابية فى سنة ١٩٢٨ وفاز باثنى عشر مقعداً فى الريشستاخ .

وفى هذا الوقت كانت هناك جماعة أخرى تقوى ويشتد ساعدها ، وهى جماعة الخوذة الفولاذية التى اتخذت شعاراً لهـا بعد الحرب إعادة الامبراطورية القديمة . وجدّ فى السياسة الداخلية عامل دعا إلى أن توحد جهودها مع جنود هتلر هو محاربة مشروع يونج ، وبذا تألفت جبهة قوية انضم إليها الحزب الوطنى ... حملت الحكومة على أن تألب كل قوة لديها لمحاربة الجبهة . أما قمصان هتلر فقد كانت ممنوعة ، واستعاضوا عنها بقمصان بيض ، ظهروا بها فى استعراضاتهم ؛ إلا أن الحكومة لم تقو على الصمود أمام هذا الاجماع ، ولو أن الريشستاخ وافق على مشروع يونج ، فاستقالت وزارة ميلر ، وتألفت وزارة برونج . وفى شهر سبتمبر سنة ١٩٣٠ أجريت الانتخابات البرلمانية

ففاز هتلر بسبعة مقاعد ومئـة ، ونال أكثر من ستة ملايين من الأصوات . فـكانت هذه النتيجة (على الرغم من أنها ليست الأغلبية البرلمانية) ، مكافأة للجهود الجبارة ... جهود خمس سنوات بعد السجن ، واربع سنوات بعده ، قضاها الزعيم وصحبه عاملين فى غير كلل ولا ملل .

وفى عهـد هذه الوزارة — وزارة برونج — زاد اضطهاد النازى ، واشتد أخصامهم من حكوميين وشيوعيين فى حربهم .

مع الشيوعيين :

احتمل الهتلريون كثيراً من الشيوعيين الحمر ... وصمدوا لهذا الأذى المندفع صمود الأبطال ، فقد كانوا على ثقة وإيمان بأن الشيوعية — إن انتصرت — ستدمر ألمانيا تدميراً .

وفى الكتاب الذى أخرجه أدولف أرت « الشيوعية فى ألمانيا ، أو الثورة المسلحة » حقائق عجيبة عن الأساليب التى كان يتذرع بها الحمر فى بث دعاياتهم ، وكفاح خصومهم . وحسبنا أن نأخذ من هذا الكتاب قائمة الضحايا التى قدمها أعوان هتلر على مذبح البلشفية القاسى الرهيب .

فى سنة ١٩٢٣ قتل الشيوعيون ٢١ من النازى ، وفى سنة ١٩٢٤ قتلوا ٤ ، وفى سنة ١٩٢٥ قتلوا ٣ ، وفى سنة ١٩٢٦ قتلوا ٤ ، وفى سنة ١٩٢٧ قتلوا ٥١ ، وفى سنة ١٩٢٨ قتلوا ٥ ، وفى سنة ١٩٢٩ قتلوا ٩ ، وفى سنة ١٩٣٠ قتلوا ١٧ ، وفى سنة ١٩٣١ قتلوا ٤٢ ، وفى سنة ١٩٣٢ قتلوا ٨٤ ، وفى يناير سنة ١٩٣٣ قتلوا ٦ فيكون مجموع الضحايا مئتين من أعوان هتلر وجنوده ، قدموا وقوداً للمطامع الحمراء .

أما الذين نجوا من الاغتيال ، ولكن أصيبوا باصابات

مختلفة فعددهم كثير جداً ، وهذا إحصاؤهم فى السنوات الخمس السابقة لتولى النازى الحكم :

السنة	عدد الجرحى
١٩٢٨	٣٦٠
١٩٢٩	٨٨١
١٩٣٠	٢,٥٠٦
١٩٣١	٦,٣٠٧
١٩٣٢	٩,٧١٥
١٩٣٣ (يناير)	٥٥٠

فيكون مجموع الجرحى ٢٠,٣١٩ شخصاً ، منهم ٢٩٧ من صبيان هتلر ، (وهم صغار جنوده) ، كما أن هؤلاء الصغار ، قدموا للذبح والاغتيال برصاص وخناجر الشيوعيين ستة منهم . وهذا لأن الشعار الشيوعى هو : « اضرب النازى أينما وجدته ! » .

الى كراسى الحكم :

فى عام ١٩٣٢ جرت انتخابات مزدوجة فى ألمانيا . . انتخابات لرياسة الجمهورية ، وأخرى للبرلمان . وقد خاض هتلر نيابة عن حزبه الانتخابات الأولى ، ضد الرئيس هندنبرج ، لأن الديمقراطيين راحوا يذيعون فى كل مكان أن المارشال مرشحهم . وقد فاز هندنبرج ، لا لأنه مرشح الديمقراطيين ولكن لمكانته فى نفوس الألمانيين . ومع هذا أخذ هتلر عدداً كبيراً من الأصوات . . فاز بثلاثة عشر مليوناً مقابل ستة عشر فاز بها هندنبرج ...

وهذه النتيجة الباهرة كانت فى ذاتها دعاية عظمى للانتخابات البرلمانية . وقد أدار هذه الانتخابات وزير آخر غير برونتج الذى استقال ، وهو الهر فون بابن ، ولم يكن هذا الوزير مشبعاً بروح العداء مثل سلفه ، فأعاد فتح مكاتب ومعسكرات فرق الهجوم التى كانت مغلقة ، وجرت الانتخابات ففاز هتلر بثلاثين مقعد ومئتين ... ولم

تكن هذه أيضاً الأغلبية المطلقة ، ولكنها كانت دليل قوة عظيمة تجلى بها حزب النازى ؛ وقد عرض هندنبرج على هتلر أن يتعاون مع الهر فون بابن فى وزارته ويقبل منصب الوكالة ؛ فرفض ، وأجريت انتخابات فقد فيها النازى ثمانية وثلاثين مقعدا ، ولكنه مع هذا ظل القوة العظمى فى الميزان البرلمانى ، واستحال عملاً على الوزارة أن تسير الأمور من غير رضا الزعيم المختار ، وتعذر على الرئيس هندنبرج أن يجد حلاً للموقف إلا إن اندفع مع الشيوعيين والاشتراكيين ، وهذا ما كان يمقته ... وعلى الأخص بعد أن تولى شليشر الرياسة وأظهر عجزه من اليوم الأول ... وإذن فقد جاءت النتيجة الحتمية .

فى ٣٠ يناير سنة ١٩٣٣ صدر مرسوم بتولية الهر هتلر منصب رياسة الوزارة ، واشترك معه فيها حليفاه هوجنبرج زعيم الحزب الوطنى وزلدتى قائد جماعة الخوذة الفولاذية (التى حلت فيما بعد على أثر إعادة التجنيد الاجبارى) .

الزعيم

هتلر

هو رئيس حزب النازى ، والقائد الأعلى للجيش والأسطول الألمانى ، وزعيم الأمة الألمانية ، وخالق الريخ الثالث ورئيسها ومستشارها . هو الآن (عام ١٩٣٧) فى السابعة والأربعين من عمره ، ولكنه ليس فى تمام صحته ، فقد زاد وزنه اثنى عشر رطلاً فى السنة الماضية ، إلا أنه يعانى ألماً فى إحدى رئتيه منذ كان صبيا ، وقد أضرت غازات الحرب الخانقة به ضرراً بليغاً . وفى شهر أغسطس الماضى أجريت له عملية جراحية ، وقد نجحت ، ولكنه وقف بعد شهر من إجرائها ليتكلم فى ألوف من جنوده ، وعابديه ، ولم ينس أن يقول لهم :

« لست أعلم متى يقدر لى أن أغمض جفنى للمرة الأخيرة ، ولكنى أعلم عن ثقة ويقين أن الحزب سيبقى ويحكم ... يأتى الزعماء ثم يموتون . ولكن ألمانيا ستعيش إلى الأبد » وقد أشيع عقب هذه الخطبة أن الزعيم مريض بمرض خطير (قيل هو السرطان) .

هتلر الرجل

وآخر ما يعنى به هتلر الكتب ، والثياب ، والأصدقاء والطعام والشراب . فهو لا يدخن ، ولا يشرب الخمر ، ولا يسمح لأحد بأن يدخن بالقرب منه ...

وليس لهتلر أصدقاء الآن ، إذ فقد أقرب المقربين إليه الهر روهم الذى صرع فى مذبحة ٣٠ يونيو سنة ١٩٣٤ ، وحل مكانه اللفتننت بروكنر رئيس حرسه . ومع هذا فهناك شخصان يستطيعان مقابلته فى أى وقت ، وهما روبنتروب مستشاره فى الشؤون الخارجية ، وشاخت

مستشاره فى الشؤون الاقتصادية ... وهذا لأنه يحتاج إلى معاونتهما دائماً فى تكوين آرائه السياسية الدولية وفى الاقتصاد الذى صرح بأنه لا يفقه فيه شيئاً ؛ ومما يفسر شعور الزعيم نحو الأفراد ، ماذكره أحد الصحفيين المشهورين ، وهو أنه كان فى سنة ١٩٣٢ ركب نفس الطائرة التى كان يستقلها هتلر فى تنقلاته أثناء الحملة الانتخابيـة ، واستمرت هذه الزمالة فى السفر شهران ، وكانت فرصة اجتماعهما تمتد إلى ست ساعات ؛ ويؤكد الصحفى أن هتلر كان يجلس طول هذا الوقت لا يتكلم ، ولا يتحرك ولا يبتسم ، وتصادف أكثر من مرة أن قابل هتلر هذا الصحفى خارج الطائرة فلم يبد عليه أنه عرفه أو رآه !

وكثيراً ما ينفس الزعيم عن متاعبه بالدموع ... أجل بالدموع ، وقلما يفيـده البكاء شيئاً ؛ فقد حدث مرة أن أنفق ليلة كاملة يتحدث مع اتوستاسر لكى يقنعه بألا يستقيل من الحزب ، وظل الحـديث متصلاً بينهما حتى

الفجر ، وقد انفجر الزعيم باكياً ثلاث مرات خلال الحديث .

وليست لهتلر طبيعـة الائتلاف مع الناس ، ولا مع هؤلاء الذين يعملون معه ، ويرونه كل دقيقة ؛ ومع هذا فأعوانه ، بل ألمـانيا كلها تعبده وهم يثقون به لأنهم لا يعرفون عنـه الـكثير ، وعدم معرفتهم لا ترجع إلى غموض فيـه ولـكن إلى بساطة تامة ؛ وأهم ما يميز هتلر نفسه الشاعرة ، فان الموسيقى تستهويه . بل لعل أعظم ماتأثر به فى حياته ، ولا يزال عاملاً فى التأثير عليه ، موسيقى فاجنر ، وكثيراً ما يستدعى صديقه هنستيبج فى أعماق الليل ، لـكى يعزف له ألحاناً من شدمان أو مزرى أو بتهوفن أو واجنر حتى ينام ... فالموسيقى غذاؤه ، وراحته الـكبرى .

وهو إلى جانب الموسـيقى يحب الأطفال حباً جماً ... ويجد السعادة والنشوة النفسية فى مداعبتهم ، ولذا فان للهتلرية أعظم الأثر فى العناية بالطفولة الألمانية ؛ ولعل هذا

ما دعا هتلر إلى أن يصرح مرة أن النازى سيحكمون ألمانيا ألف سنة !

ولا حاجة لهتلر بالنقود ، إلا لينفق منها على حركته السياسية ؛ وهو عريق فى جهله بالمسائل المالية ، لأنه لا يعرف للنقود قيمة خاصة ، ولا يحتاج الآن للمال ؛ فالدولة تكفل له حاجاته جميعاً ؛ وكان آخر ما اشتراه هتلر لنفسه معطفاً واقياً من المطر ليرتديه أثناء زيارته لموسولينى فى يونيو سنة ١٩٣٤ ؛ وعند ما قابله موسولينى فى البندقية ، وهو محاط بالأعوان الذين يلبسون أنخر الثياب أحس هتلر بالخجل من ردائه الرخيص ؛ وقد أبى أن يتقاضى مرتباً من الدولة ؛ وأذيع فى سنة ١٩٣٥ أنه السياسى الوحيد فى أوربا الذى لا يملك رصيداً فى البنك أو أسهماً فى شركة من الشركات ؛ ولعل أرباحه من كتاب « كفاحى » تحول إلى الحزب ؛ وإذا قدر نصيب هتلر من أرباح بيع الكتاب بـ ١٥ ٪ من ثمن المبيع لبلغ دخله حتى الآن ١٦٠,٠٠٠

جنيها وهذا غير ارباح الترجمة إلى اللغات المختلفة .

من أمطوار الزعيم :

هتلر مثال فريد فى الدنيا للفناء فى العقيدة ؛ فقد كره اليهودية ، وحاربها وتغلغل كرهه لها فى دمائه ؛ وقد تولدت فيه هذه العاطفة منذ كان صبياً لا تزيد سنه عن سبعة عشر عاماً على أثر مناقشة قصيرة دارت بينه وبين يهودى بولونى وهو منذ ذلك الوقت يعتقد أن من المستحيل أن يستوى هو ؛ وهذا الجنس من المخلوقات فى التفكير والمكانة ، ومن المتعذر على الانسان أن يتصور حقيقة عاطفته نحوهم إلا إذا قرأ كتابه (كفاحى) ؛ وقد ألف هذا الكتاب منذ عشر سنوات وتعددت طبعاته ؛ وفى كل طبعة كان هتلر يغير ويبدل فيه وفقاً للسياسة الجديدة التى يريد انتهاجها فى الداخل والخارج ويحرص على أن يضع هذا التعديل أمام أعين قرائه دون سواه ؛ حتى أن ناشراً فرنسوياً ؛

أذاع ترجمة لطبعة قديمة من طبعات الكتاب فقاضاه وكيل هتلر فى النشر ، واضطره لسحبه . إلا أن شيئاً بقى منذ خرج كتاب كفاحى للوجود حتى الآن ، لم يتغير ، ولم يتبدل ، وهو حملته على اليهود .

وحدث فى شتاء سنة ١٩٣٥ أن رغب هتلر فى الذهاب إلى الملعب لمشاهدة قصة تمثيلية اسمها توفاريس ، وقد أعجب بها إعجاباً شديداً ، حتى أنه اختلف إلى الملعب الذى كانت تمثل فيه أربع مرات ، ولكن قبل أن يخطو من داره خطوة واحدة ، أبرقت سكرتيريته إلى باريس ، تستفسر عن جنس المؤلف جاكس دونال ، وهل هو من سلالة آرية خالصة أم تخالطه دماء يهودية ؟

وقد التزم هتلر ، قبل أن يصل إلى زعامة الأمة الألمانية خطة خاصة حيال اليهود ، فلم يسمح لنفسه بمحادثة يهودى ، ولو بالتليفون (الأرزيز) ، وما كان ليأذن ليهودى مهما علا شأنه ، حتى لو كان ناشراً كبيراً مثل ولترليمان ، أو

سياسياً خطيراً مثل اللورد ريدنج بأن يزور البيت المبنى مقر جنود هتلر .

حرس الزعيم :

ومن الطريف حقا أن يعلم الانسان كيف يحرس هتلر . فقد ذكرت جريدة الديلى تلغراف أن أكبر مرتب فى الريخ يعطى الآن لرجل مجهول الاسم يشبه هتلر تماماً ، حتى أن أحداً لا يستطيع أن يفرق بين الشبيه والشبيه ، ويعد هـذا الرجل ليحل محل الزعيم فى بعض المناسبات العـامة . وينبغى أن يأخذ هذا النبأ بشىء من الاحتياط ، فقد دست اليهودية والشيوعية الـكثير من الاشاعات حول هتلر .

ومع هذا فيمكن أن نقرر أن هنـاك احتياطات شديدة تتخذ لحراسة هتلر ، وقد أقسم حراسه الثلاثة : بروكنر وشريك وشواب ، أن ينتحروا جميعاً إن مس الزعيم أذى .

وحدث مرة أن زار هتلر فى مقر عمله أحد رجال السياسة الانجليز ، وفى حديث بينهما كان يدور بشئ من الحدة سقطت آنية من الخزف على الأرض ، وإذا بعدد من لابسى القمصان يقفزون فجأة من وراء الستائر ، وهم مدججون بالسلاح ، ظناً منهم أن صوت انكسار الآنية الخزفية هو طلق نارى .

ويهتم رجال الأعمال بحياة هتلر اهتماماً كبيراً . فقد أمن انجليزى منهم على سلامة الفورر ضد الاغتيال بعشرة جنيهات وعشرة شلنات لكل مئتى جنيه ، وهذا خشية الذعر والاضطراب الذى يحدث فى ألمانيا إذا اعتدى فوضوى على حياة الزعيم ، ولكن للآن لم تحدث حادثة واحدة تشير إلى محاولة كهذه ...

فى بلاط الزعيم

يلذ للكثيرين ، من الكتاب والعامة ، أن يعقدوا المقارنات بين هتلر وموسولينى ، ويسألوا أنفسهم ، أيهما أعظم ، وأيهما أكثر ابتكاراً وأشد أثراً ... وفيم يختلف الرجلان ، وفيم يلتقيان .

ولسنا نحب الاسترسال مع هذا النوع من الأسئلة ، لأنه لا ينتهى بنا إلى نهاية ، فلكل من العظيمين أنصار ومحبون ، وناقدون شانئون ، وهم يمدحون ويذمون بحسب هويتهم ، ونوع عقيدتهم .

ولكن الكتاب الذين يختلفون فى الكثير من آرائهم بصدد هتلر وموسولينى ، يلتقون عادة ، فى شىء واحد ، هو أن موسولينى هو إيطاليا . أى أنه روح نظامها ، وسر قوتها ، فاذا جردت إيطاليا من هذا الرجل ، فلا شىء

بعده ، قد تبقى إيطاليا الفاشستية بقمصانهــا السوداء ، و « حزمتها » وألويتهــا ، وأناشيدها . وقد يأتى مكان موسولينى رجل أسلم منه تفكيراً ، وأعظم منــه تدبيراً ، ولــكن (إيطاليا اليوم) بروحها التى نلمسها فى السياسة والحرب والتفكير ، هى موسولينى ، إذا ما تكلم ، وإذا ما تحرك ، وإذا ما هاج ، وإذا ما رضى . هو الذى قال (الحرب) ... فاعترض المشروع بادوليو ، وتململ الملك ، ولــكن الحرب سارت ، والدنيا اجتمعت على موسولينى ، ولــكنها لم تثنه عن عزمه .

أما الحال فى ألمانيا فليست على هذا المنوال ... ففى ألمانيا رجال كثيرون يستطيعون أن يقولوا إنهم المسئولون عن كثير من الحركات الــكبيرة التى وقعت فى ألمانيا واستوقفت العالم ... صحيح إن هتلر بقى على عرش زعامته ، والأحداث الــكبرى فى بلاده ، تمر من تحت هذا العرش وحواليه ، وهو ثابت ... ولــكن هذا لا يغير من حقيقة الأمر شيئاً ،

فقد كان هتلر ، على عرشه حقا ، ولكنه كان فى كثير من الأحوال ، يطل من فوق هذا العرش ، على ما يلقى فى دولة الريخ من خطب ، وعلى ما يقع فيها من أحداث كمتفرج عظيم ! .

فليس هتلر بالرجل المنظم ، الذى يقبل على العمل فيدرسه ويدرس تفاصيله ، ويستمر يتابعه بالجلد ، والاحتمال ، والمناقشة ؛ بل أنه لا يحب التفكير فى المسائل التفصيلية ، وإن كان يستريح إلى المسائل المجردة والكليات من الأمور . حتى لقد اتهمه الكاتب (أميل لنجل) بأنه لم يكتسب طوال المدة التى تولى فيها حكومة ألمانيا شيئاً جديداً ، بمعنى أنه لم يكسب من مواجهته لصعاب الحكم خبرة ولا قدرة على حل المشكلات ، لأن عقله لا يقوى على مقابلة التفاصيل ، ولا يهضم مناقشة الوقائع ، ويهيم فى بيداء الكليات والمبادئ العامة .

ومن هنا ، التف حول هتلر ، عدد كبير من رجال

الـكفايات والمواهب ، ونجحوا فى إظهار ما تنطوى عليه نفوسهم وعقولهم من ذخائر ، فتركوا طابعهم فى حكومة ألمانيا الحاضرة ، وما تقدم عليه من الأعمال ، وما تنادى به من المبادئ .

ولعل هتلر هو الدكتاتور الوحيد ، الذى يعتمد كثيراً على مستشارين ، فيسمع آراءهم ؛ بل ويترك لهم مجالاً كبيراً للعمل وحرية عظيمة فى التصرف . ولذلك يمكن القول بأن دكتاتورية هتلر الكبيرة الشاملة ، تنطوى على دكتاتوريات صغيرة متعددة . أو أنها تقوم على هذه الدكتاتوريات وتتغذى بها ، وتنتفع بنفوذها .

ولعلنا سمعنا كثيراً باسم رينتروب مستشار هتلر فى مسائل السياسة الخارجية ، والحقيقة أن فى ميدان السياسة الخارجية يجب أن نعرف ثلاثة من الأسماء . يجب أن نعرف روزنبرج رئيس تحرير جريدة « المراقب العام » ، أو فولكشر بيوباختر ، وهى الجريدة الرسمية لحزب

النازى ، وقد كان هتلر نفسه يتولى إصدارها ..
رينتروب ثم نوراث ، والثلاثة يعملون فى المسائل الخارجية ،
والأول منهم يعتبر خبير حزب النازى فى هذه الشؤون ،
والثانى هو مستشار هتلر فيها ، والثالث هو وزير الخارجية .

أما ميدان الاقتصاد فى ألمانيا ، فرجله وسيد ميدانه ،
وصاحب الكلمة الأولى فيه « شاخت » ، الذى أبى أن
يشتغل وزيراً للمالية ، وقنع بأن يكون مديراً عاماً
لبنك الريخ .

ويوجد رجلان لا يذكر اسمهما كثيراً ، ولكن لهما
نفوذهما ، أولهما الدكتور لاى وهو رئيس نقابات العمال وزعيم
جبهة العمل وثانيهما الدكتور درى زعيم جبهة الفلاحين
ووزير الزراعة .

ويوجد إلى جانب هؤلاء رجال ذوو حظ ، يستمدون
نفوذهم ، لا من قوة عقلياتهم ، بل أن قوتهم فى الأغلب
راجعة إلى التشكيلات العسكرية التى يضعون أيديهم عليها .

وفى مقدمة هؤلاء هنريش هملر وهو قائد القمصان السوداء وهم حرس هتلر الخاص ، وهملر يتمتع إلى جانب قيادته للقمصان السوداء ، برآسته للبوليس السرى أى (الجستابو) وقد اشترك هملر كبقية الزعماء البارزين فى حركة عام ١٩٢٣ .

أما بروكنر ، فهو ذو مركز كبير ، ولكنه لا يملك وقتاً ، ليستعمل نفوذه ، لأنه يلازم هتلر كظله ، إذ أنه حارسه الخاص ، وبروكنر ، مثل هائل من أمثلة قوة الجسم وصلابته وطول القامة وامتشاقها ، وهو ينام خارج غرفة هتلر .

ومن بين الطغاة الصغار — إذا اعتبرت الطاغية ترجمة سليمة لدكتاتور — چوليوس ستريشر ، وهو رجل فى الواحدة والخمسين من عمره ، حليق الرأس ، يصفه الكاتب الأمريكى چون جنتر « بأنه تمثال حى للوحشية » ، وهو خصم لدود لليهود ، ويحكى عنه أنه فى يوليه سنة ١٩٢٣

أمر مئتين وخمسين يهودياً ، كان قد ألقى القبض عليهم ، بأن ينزعوا الحشيش من حقل ، لا بأيديهم بل بأسنانهم ، وستريشر هذا ، هو الذى أشرف على تنظيم مقاطعة اليهود فى أبريل سنة ١٩٣٣ عقب تولى هتلر الحكومة فى ألمانيا . ومما يفاخر به ستريشر أنه قضى فى حى هرسبرك بفرانكونيا على جميع اليهود الذين كانوا يعيشون فيه من قبل ، فأجلاهم عنه نهائياً . وستريشر هو رئيس تحرير جريدة « العاصفة » وواحد من اثنين ذكر اسمهما فى كتاب هتلر المعروف « كفاحى » أما ثانيهما فهو (هس) . وهس هو أحب القادة إلى قلوب الشعب ، وإلى قلوب ذوى القمصان البنية ، لأنه رجل قليل المطامع ، هادئ الطبع ، دمث الخلق ، وهو إذا ما حضر اجتماعا عاما جاء استقباله فى الدرجة الثانية من حيث الحماسة والحفاوة بعد استقبال الجماهير لهتلر نفسه .

ولقد ذكره هتلر فى كتابه — كما أشرنا — ووصفه بقوله « موريس الفاخر » ومما يلطف إثباته هنا أن (هس)

يعتبر مصريا بالولادة إذ أن والديه كانا يقيمان بالأسكندرية وأحسب أنهما لا يزالان يقيمان بها . وقد أصبح هس (منذ أن تولى هتلر رآسة الحكومة ورآسة الدولة) مندوبا للزعيم لدى الحزب وهو منصب عظيم ، لا ينقص من شأنه إلا أن هس نفسه رجل لا يطمع كثيراً . فلولا نقص فى شجاعته ، لكان هس فى مركز جورنج أبرز الشخصيات فى الدولة الألمانية ، بعد هتلر لا سيما فى الوقت الذى كانت فيه شهرة جورنج قد تعرضت للتزعزع بعد المذبحة التى ذهب فيها الجنرال شليخر القائد العظيم ، ووزير الحربية ، ومنظم الجيوش الألمانية بعد الحرب ضحية لها .

فهس هو خادم أمين لهتلر ، وحارس مخلص ، ولا شيء بعد ذلك . ولقد آمن (هس) كغيره من زعماء النازية بهتلر لأول مرة سمع فيها الزعيم يتكلم ، ولقد كان إبان الحرب ، طياراً فى الجيش الألمانى ، ثم اشترك فى الزحف إلى برلين ، وسجن مع هتلر ... وهو أعزب ، كأكثر الذين يحيطون بهتلر .

ويعرف الكثيرون فى ألمانيا أنهم لا يستطيعون الوصول إلى هتلر إلا عن طريق هس ، فهو موضع حب ، وتكريم مستمرين ، من الزعيم ، ولطالما أتاح له هتلر ، فرصاً تميزه عن أقرانه ؛ إذ أنه جعله يخطب ليفسر للألمان وللعالم مذبحة ٣٠ يوليه ، التى فقدت فيها ألمانيا عدداً من كبار رجالها وقد كانت هذه الخطبة موضع اهتمام العالم بأسره

ولقد ذكر هس عن نفسه أنه كان وطنياً أثناء إقامته فى الاسكندرية ، ثم أصبح اشتراكياً أثناء الحرب العظمى ، فلما انتهت الحرب ، وذهب إلى ميونخ أصبح عدواً لليهود ، ثم آمن بالنازية ... فهو يكره اليهود بعمق ، ويحاربهم بضعف .

العمالقة

على أن فى بلاط الزعيم ، ثلاثة من العمالقة ، لا يكاد يذكر إسم هتلر حتى تثب أسماؤهم إلى جانبه ، ولكن ليس فى هؤلاء العمالقة عملاق واحد من الناحية البدنية ، بل إن فيهم قزما أعرج ، ذلك هو جوبلز وزير الدعاية الذى لا يمضى يوم حتى يكتب اسمه فى البرقيات أو الصحف ، بخطوط عريضة . ولا غرو فهو وزير الدعاية ، فان لم يقم بالدعاية لنفسه فانه لا يصلح للدعاية لسواه ... أو على الأقل هذه هى وجهة نظره ، فهو رجل ذو مطامع بعيدة ، حتى ليكره فى ألمانيا طولاً وعرضاً . ولكن جوبلز لا ينفرد وحده بالأطماع فان شاخت مدير بنك الريخ ، وجورنج رئيس الوزراء ووزير الطيران ، رجلان تتحدث أطماعهم فى وجوههم وحركاتهم وأقوالهم . ومن هنا كان الصراع

بينهم حاداً عنيفاً . ولا يدرى أحد من يكون خليفة هتلر منهم ، إذا مات هتلر وترك هؤلاء الثلاثة وراءه يتنازعون السلطة ويتنافسون عليها . ولكن الذى لا شك فيه أن الزعيم يحب دائما أن يكون خليفته رجلا على نقيضه لأن الزعيم يأخذ الناس بالحزم والقوة ، ويخضد شوكتهم ، لأن عبء التأسيس يقع على أكتافه ، والتأسيس عمل شاق يقتضى أخذ الناس بالشدة والاخافة . . . ومن هنا كان لنين الزعيم الشيوعى ينصح أتباعه بألا يتخذوا من « ستالين » زعيما لهم ، وقال انتخبوا لكم رجلاً ، أكثر صبراً من ستالين ، وأعظم دماثة ، وألين عريكه ، وأقل كبرياء وغرورا . . . ولكن ستالين القوى على الرغم من وصية رئيسه تولى السلطة وأقصى سواه ، بل ونفى أكثرهم وقضى بأحكام الاعدام على البقية الباقية منهم .

الدكتور الاعرج

لكن لابد لنا من أن نخرج من حلبة الصراع (شاخت) لأنه رجل مالى اقتصادى ، ولم تعتد الأمم أن تجعل من الحسابيين قادة ، لأنها فى حاجة إلى تغذيتها عاطفيا ولا يغذى عاطفتها رجل يتحدث عن التوريد والتصدير ، والميزانية والكامبيو ، وإنما يغذى هذه العاطفة رجلان اثنان إما الدكتور الأعرج ، أى جوبلز ، الذى ينطلق على المنبر كالمدفع يهدر هدير البحر ويقول إنه لا يكاد يرى اليهودى حتى يشعر أنه سيتقايأ ، فتحفر مثل هذه التشبيهات العنيفة فى رأس الجمهور مجارى عميقة تحفظ بعد ذلك كل ما يعلنه الداعية من أقاويل ومبادىء وأحياناً كل ما يرجف به من أخاديع وأباطيل .. وإما جورنج القوى العنيف .

ولقد ولد جوبلز برجل عرجاء كما قلنا ، فكان ذلك العيب الجسمانى أكبر حادث فى حياته ، أو قل أعظم مكيف لشخصيته ، فقد جعلته هذه العاهة أشد من الانسان العادى

شعوراً بالحاجة إلى السيادة لتتحول نظرات الاشفاق عليه ، أو الضحك منه إلى رنوات الاعجاب به ، أو الخوف منه . . !

وليس أدل على صحة هذه النظرية ، من أنك تعرف أنه أضعف زعماء النازية جسما ، ولكنه أكثرهم ثقافة وعلماً . ولد فى ١٨٩٧ ، فهو الآن فى الأربعين من عمره ، وليس بين القواد الهتلريين من تجاوز الخمسين إلا القليل ، ومن تجاوزها منهم ، لا يشغل مركزاً ضخماً .

وفى السابعة عشرة من عمره ، ذهب إخوانه جميعاً إلى الحرب وتركوه يمزق قلبه ، ويتأمل عاهته ، ولكنه عوض ذلك بحصوله على شهادة الدكتوراة ، فعاد أخوانه من الحرب ، وقد تزينت صدورهم بالأوسمة ودلائل الفخار ، فقابلهم بشهادة الدكتوراه ! .

ولما كان فى شبابه ، كان يطمع فى أن يكون كاتباً كبيراً ، وقد كتب كثيراً حتى بلغت مجلداته أربعة عشر مجلداً ... ولكنه على الرغم من كل ما كتب ، أصبح

سياسياً ، ولم يعتبر زميلاً للكتاب والمفكرين .

وقد تزوج جوبلز من سيدة كان لها فى حياته تأثر كبير ، ويشيع عنه الحاقدون عليه أن زوج زوجته الأول — إذ أنه تزوجها بعد أن طلقت من زوج سابق — كان يهودياً ، وهذه التهمة ككل ما يلصق عادة بالقادة المكروهين غير صحيحة . ولقد كان هتلر كثير التودد لزوجة الهر جوبلز ، أو قل كثير الاعجاب بها ، حتى لقد كان يزورها كثيراً ، وكانت تعتبر السيدة الأولى فى الدولة . . كانت تحسن تنظيم الحفلات الموسيقية ، وهتلر من أشد المعجبين بالموسيقى ، حتى ليذهب كثيراً إلى الأوبرا ، يسمع أوبرات شوبير ، وبتهوفن ، وفجنار ، ولا تحسب أن له هواية أخرى . .

ومن أطرف ما يجمل بنا إثباته فى هذا الصدد ، أن زوجة جوبلز كانت تقوم فى دائرتها بعمل يوائم الحركة النازية ويسير معها ، إذ أنها كانت تخرج مجلة لأزياء

السيدات ، لتضع لهن النماذج التي تنضح بالذوق الآرى ، خالية من الذوق اليهودى ! !

ويقول جوبلز عن اتصاله بالحركة النازية ، أن الصدفة المحضة هى التى ساقته إلى اجتماع كان قد عقده هتلر فى ميونخ سنة ١٩٢٢ ، فسمع جوبلز « الزعيم » ، فأعجب به فى الحال وذهب لتوه إلى منطقة الراين ليدعو للنازية فى هذه المنطقة فأثمرت حركته كثيراً ، ولم يلبث هتلر أن أعجب بذلاقة لسانه ، وسرعة تعبيره ، وحدة ألفاظه فانتدبه ليكون نائبه فى « برلين » ، فأسس فيها جريدته التى لا تزال تصدر إلى اليوم واسمها « أنجرف » أى « الهجوم » ، وقد اتخذ لها مكتباً متواضعاً . . . لا بل حقيراً ، حتى لقد أسماه « كهف الأفيون » ، إذ كان محروما من الضوء الطبيعى ومن التهوية ، وكان يوحى إلى النفس الخوف منه ، ويشعر الداخل إليه أنه مكان موبوء . . . بالأمراض أو بالأفكار الخطرة مثلا ! وفى هذا المكتب بدأ جوبلز عمله !

ولقـد كانت جريدته (الهجوم) مثالا عالياً لا نقول في الفصاحة ، بل في الحدة والشدة في النقد ، ولقـد تعرض جوبلز من جراء أسلوبه للعقوبات المتكررة ، ولقد كان ديدنه مهاجمة رئيس بوليس برلين والهزء به ، والتهكم عليه ، ذلك لأن الدكتور ويز رئيس بوليس العاصمة (أى حكمدار البوليس) كان يهوديا ! ولـكن نقـده وهجومه لم يقف عند حد الحـكمدار ، بل أنه تجاوزه إلى من هم أعلى منه بكثير ، حتى لقد وصل نقد جوبلز إلى هندنبرج نفسه فكتب مقالا بعنوان (هل هندنبرج لايزال حيا ؟) فرفع عليه هندنبرج قضية وحكم لمصلحة الرئيس الشيخ ، بمبلغ ٨٠٠ مارك تعويضاً عن القـذف الذى وجهه إليه جوبلز الصحفى فى سنة ٢٧ والوزير فى سـنة ٣٣ إلى اليوم ، فلم يسكت جوبلز بعد الحـكم عليه ، بل عاد يقول (ان هندنبرج محوط باليهود والشـيوعيين) وكأنه يثأر لنفسه بهذا القول !

والدور الذى يقوم به الهر جوبلز ليس بالهين ، فهو دكتاتور الصحافة ، والسينما والراديو والمسرح والموسيقى وبقية الفنون والمسائل العقلية : علمية وأدبية ، ويقول عنه الكاتب الأمريكى جنتر أنه حول ألمانيا إلى (سجن ذهنى) أى أنه حرم على أبناء ألمانيا أن يفكروا فى غير الأمور التى يراها جوبلز مناسبة ، حتى لقد أصبحت الصحف فى ألمانيا على اختلاف أنواعها تكرر شيئاً واحداً ، وتكتب بروح واحدة ، فسئمها القراء وقلت مبيعاتها وانحط مستواها الأدبى ! وأذكر أنى قابلت يوماً مستشرقاً يهوديا انكليزيا ، فقال لى وهو يتحسر على تدهور الصحافة الألمانية فى عهد النازى « أن النازى قوم جهلاء ، ولكون اليهود مصادر الثقافة اليوم ، حقد عليهم هتلر وأتباعه ، وقالوا عنهم أنهم لا يشغلون بغير المال » وفى عبارة هذا العالم بعض الحقيقة ، إذ أن ألمانيا النازية لم تنتج فى الفن ولا فى الأدب شيئاً رائعاً ! ! !

ويعتبر جوبلز المخرج المسرحى ، لحزب النازى كله ، أى أنه هو الذى يدير اجتماعات الحزب ويختار لها الأماكن اللائقة ، وقد كان يشرف على هـذه الاجتماعات قبل أن يصـل هتلر إلى الحـكم فكانت هذه الاجتماعات السر فى الأصوات التى كان يحصل عليها مرشحو حزب النازى وكانت تتزايد بكثرة عجيبة .

ولقد حان أن نتقل للقارئ رأى وزير الدعاية فى الدعاية فهو يقول : « إن للدعاية هدفاً واحداً ، ذلك أن تغزو الجماعات ، وكل وسيلة تحقق هـذه الغاية ، جائزة ومشروعة ، وكل حائل يبعد الانسان عن هذا الهدف ، باطل وكريه » ، فهو رجل لايتردد ، مكياڤيلى ، لا تستوقفه القواعد التى تواضع الناس عليهـا ، على أن له كلمة أخرى تؤثرعنه ، تزيد وجهة نظره هذه أكثر وضوحاً فانه يقول : « لست قادراً على أن تفرض رأيك على الناس ، إلا عن طريق الاخافة والوحشية ، فاحصل على القوة ، وارتق

الحكم ، ثم اشعر نفسك الحق فى أن تنسف الدولة نسفاً ما دامت لا تقوم على أساس يرضيك »

ومثل هـذه الكلمة تصلح تفسيراً واضحاً لمـا ينسب للدولة النازية من فظائع الارهاب ، التى كثرت ، حتى لقد جرت على ألسنة خصوم النازية فكاهات طريفة من أظرفها أن يهوديا يعيش فى ألمانيا كتب إلى صديق يعيش فى خارجها يقول له : إن ما ينسب إلى النازى من اضطهاد لا يقوم على أساس من الصدق ، وحسبك أن تعرف أن عمى الذى كان يقول كلاما كهذا اختفى منذ أسبوع ، ولم يعثر له على أثر . !

وأقذع من هذه (النكتة) أن رجلا كان يسير فى شوارع برلين وهو يقول مهتاجا أن النازى قتلة سفا كون فقبض عليه فى الحال أحد دوى القمصان البنية ، وأراد أن يضربه ، فتدخل آخر وقال : اتركه فانه مجنون . فأجاب ذو القميص البنى فى الحال : إن كلامه يدل على أنه فى

تمام عقله ، وإنه مدرك للحقائق ! !

ويعزى لجوبلز فضل ابتكار الأعياد النازية الكثيرة التى يتم فيها استعراض عظيم للقوات النازية ، والتى يلقى فيها جوبلز نفسه خطاباته الرنانة ، ومن أهم هذه الأعياد ، عيد الحصاد ، كما أنه ينظم عيد أول مايو ، الذى يحتفل به الشيوعيون فى أنحاء العالم ، كعيد العمال ، ولكن ذلك لم يمنع النازى من اعتباره من الأعياد النازية ، ولكن أعظم أعماله فى نظر الذين يقدرون اختياره لنشيد هورست هسل ، ولما كان هذا النشيد ، هو الأغنية الرسمية للنازى فلا بد من أن نقول عنه كلمة .

النشيد النازى :

هورست هوسل ، هو شاب من لابسى القمصان البنية ، كان له نشاط واضح ، لا سيما فى الأوساط الشيوعية ، فحقد عليه هؤلاء ، وذهبوا إلى بيته ، وهو فى

سرير نومه ، وقتلوه ، فأراد جوبلز أن يحتفل بتشييع جنازته ، على نطاق واسع ، ليتخذ من هذه الجنازة وسيلة جديدة للدعاية ، ولكن البوليس رفض أن يسمح بمثل هذه الجنازة ، وكان ذلك فى ١٩٣٠ ، فرأى جوبلز أن يستغل الأثر الذى تخلف من مقتل هذا الشاب ، فأخذ أبيات كان قد نظمها هذا الشاب ، وتغنى بها ، على وقع أنغام أغنية بافارية قديمة ، وجعلها النشيد النازى ، ومن يومها ، والنازيون يرتلونه فى احتفالاتهم ، ويذكر أن الجيش حينما أقسم اليمين لهتلر ، بعد أن أصبح رئيساً للدولة ، عقب وفاة هندنبرج ، لم يرتل نشيد « ألمانيا فوق الجميع » ؛ بل نشيد هورست هذا .

سخافات :

وقد كان من أثر أساليب جوبلز فى الدعاية أن اقترف بعض العلماء أخطاء فى حق العلم ، فأذاعوا على النـاس

سخافات من أهمها ترهات العالم هرمان جوش الذى يقول فى كتابه : « أصول جديدة فى بحث الأجناس » :

« إن حركة المضغ فى أفواه الآريين ، تتم والفم مغلق بينما هذه الحركة تتم فى فم غير الآرى بصوت مسموع ، كما يفعل الحيوان ، ولما كان للون أثره ؛ فان اللون الأحمر الذى صبغت به الطبيعة شفاه الآريين ، جعل لهذه الشفاه ، القدرة على التقبيل والتودد ... أما شفاه غير الآريين الغليظة الواسعة ، مضافة إلى أنف ذى فتحات واسعة ، فهى آية الشهوة والرغبة فى الاستمتاع الحيوانى ...

والتحدث مع الاشارة بالأيدى ، وتحرك الرجلين أثناء الكلام ، هما من مميزات غير الآرى . أما الآرى فيتكلم هادئاً وغالباً يداه فى جيوب بنطلونه ... ! » إلى آخر هذه الأعاجيب التى لا تدل إلا على تدهور التفكير الآرى . إن كان الآريون يقبلون هذا الهذر ! !

ومما ورد فى مطبوعات جوبلز الرسمية :

« ألا تعرف أيها الرفيق الألمانى أن اليهودى :

يسلب طفلك .

ويغتصب زوجتك وأختك وخطيبتك .

ويقتل والديك .

ويهزأ بشرفك .

ويحتقر معتقداتك .

ويحطم كنيستك .

ويفسد ثقافتك .

ويلوث شرفك »

وفى نهاية الأمر ، يجد جوبلز علماء يؤكدون أن تقاطيع الوزير الداعية تدل على أنه من جنس غير آرى فان له عينين واسعتين ، لا تشبهان عيون أبناء الشمال ، ثم يرون فى عاهته . دليلاً على عدم طهارة دمه ...

وهكذا لا يفل الحديد إلا الحديد ... !

ولكننا لا نملك أنفسنا من الاعجاب بهذه الكلمة التى

كتبها جوبلز ضد الليمون الأجنبى ، فانها كلمة طيبة نختم بها حديثنا عنه ، ونرجو أن يتدبرها القارئ المصرى طويلاً :

« وداعاً أيها الليمون الأجنبى ، فانى فى غير حاجة إليك . إن الليمون الألمانى ، يحل محلك تماماً وإلى الأبد . وإنا واجدون الليمون الألمانى فى حقولنا ، بكميات وافرة ، وفى كل شهور السنة بأسرها ، وإنا قادرون على الحصول عليه بلا ثمن تقريباً ، وأن حموضته تجعل (سلاطاتنا) وخضرواتنا ، شهية مقبولة ، ولكونه ذا حلاوة خفيفة ، فانه سيمنحنا النشوة اللطيفة ، وهو فوق ذلك مطهر للدم ، وعنصر طبى يناسب الألمانى القح . فلنمح بالنبات الألمانى الآثام التى ارتكبناها باستعمال الليمون الأجنبى ! »

ولقد تسأل بعد ذلك عن السر فى الافاضة عندما تحدثنا عن جوبلز ، على أننا أردنا أن ننقل لك صورة عن الأفكار الدافعة فى الحركة النازية وجوبلز هو مستودع أكثر هذه الآراء .



الجنرال جورج :

« وهو يستقبل ملكة سيام بعد »
« انتهائه من مذبحة ٣٠ يونيو »
« سنة ١٩٣٤ بخمس دقائق ! »

جورج

أول الأوسمة والطيران !

كان لألمـانيا فى أفريقيا الجنوبية الغربية مستعمرة ، وكان للمستعمرة حاكم عام ، وكان للحاكم العام ابن . . . تربى الابن تربية جيدة تتناسب مع الأصل الذى انحدر منه ونال ثقافة كافية ، فلما بلغ الواحدة والعشرين ، ذهب إلى الجيش وتطوع فى قوته الهوائية ...

فلما أقبلت سنة ١٩١٥ ، كان قد أصبح قائداً للسرب الخامس من أسراب قوة ألمـانيا الهوائية ، فلما انتهت الحرب كتبت قائمة بأكبر قواد الطيران الألمانى ، مرتبين بحسب ما أبلوا فى الجهاد ، وبقدر ما أظهروا من شجاعة . فكان أول هؤلاء جميعاً (أودت) الذى أسقط فى الحرب من طائرات الأعداء أربعا وخمسين طائرة ، ويليه ريشتوفن

الذى أسقط من هذه الطائرات ثمانين ، وكان ثالث الأبطال هرمان جورنج الذى أسقط ثلاثنا وعشرين طائرة فقط .

ولكن هرمان جورنج ، كان بطلاً عظيما ، استحق من بلاده أكبر الأوسمة الحربيــة ، إذ أنه حاز وسام الاستحقاق الرفيع ، الذى يقابل نيشان ڤكتوريا عند الانكليز ، ولكنه يمتاز عن رفيقيه الآخرين ، بأنه فى ١٩١٨ حينما عقدت الهدنة بعد الحرب التى أدارتها ألمانيا بقوة ورفعة وجلال ، وقع الساسة الألمان معاهدة ڤرساى ، وتعهدوا فيها بتحطيم أسطول بلادهم الجوى وتسليم أسطولهم البحرى . . . ولكن جورنج أبى أن يسلم أسطوله وطار به ، والطائرات تتابعه ، إلى أن انتهت المطاردة بهزيمته ، فهبط إلى الأرض وجاء طائرون ألمانيون أقل منه حذقا ، وأضأل منه شجاعة ، وأتفه منه مركزاً وحطموا أمامه طائراته العزيزة إلى قلبه ، فأقسم من يومها لينتقمن . . . ثم ودع أصدقاءه وزملاءه الطيارين وتعاهدوا

على اللقاء حينما تكون ألمانيا صاحبة أقوى أسطول فى البلاد . وزاده عزماً على الانتقام أنه كان يسير فى برلين بملابسه الحربية ، فالتف حوله جمع من الشيوعيين ومزقوا من ثيابه ، أزرارها وشاراتها ثم تركوه ودمه يغلى ونفسه ثائرة ، وحقده واحتقاره للشيوعيين بلغ الحد الذى استطاع جورنج فى سنة ١٩٣٤ التعبير عنه بحركة التطهير التى قضى بها على الشيوعيين وقوادهم بلا رحمة ولا رفق . .

جورنج هو نفسه مصدر العنف المادى فى الحركة الهتلرية ، كما أن جوبلز هو مصدر العنف الفكرى فيها ، وجورنج معذور إذا كان عنيفاً ، لأن الطبيعة سلحته بكل وسائل الشدة والقوة . حسبك أن تنظر إلى وجهه ، أو أن تنصت إلى كلمه ، فهو ضخم الرأس ، وإذا تكلم كأنما هو مدفع ، لافى التدفق ، بل فى قوة مقاطع ألفاظه وحدتها . وهو يسمى (المفزع) أو على الأقل خصومه هم الذين يسمونه كذلك ، وسر التسمية كامن فى أنه قضى على

المعارضة فى روسيا قضاءاً مبرماً ، فأغلق الجرائد الحرة ، أى الديموقراطية ، لأنه يعتبر الديموقراطية خيانة لألمانيا ، وفى سنة ١٩٣٣ حينما كان رئيس وزراء روسيا ، وكانت الانتخابات على الأبواب جمع رجال البوليس ، وأمرهم ألا يصطدموا بذوى القمصان البنية ، إذا قامت منهم مظاهرات ، بل أمرهم بمطاردة الشيوعيين ، ولم يكن هتلر قد وصل بعد إلى الحكم ، ولكى يستحثهم على القيام بتنفيذ أوامره على الوجه الأكمل قال : « سأحمى كل جندى بوليس يلجأ إلى إطلاق النار أداء لواجبه غير ناظر للعاقبة » ، ومن هنا قال عنه الديموقراطيون أنه هو الذى قطع رأس الجمهورية الألمانية التى قال عنها هتلر (فى محاكمته فى ١٩٢٤) أنها ستتدحرج فى الشارع إذا ما تولى هو الحكم .

ويعيش الآن جورنج فى قصر كبير فى برلين ، وبالقصر حجرة كبيرة لون جدرانها أحمر ، ولون أرضيتها أسود ، فهى تجمع لونى العلم النازى . وشارة الصليب المعكوف ،

مرسومة فوق المدفأة . وحجرة مكتبه تفصح عن ميوله ومطامعه . فأنت ترى صورة هتلر مقابلة لصورة موسوليني وبسمارك مقاربة لنابليون ، وصورة غليوم الثاني أمام ولي عهده ، ثم صورة فردريك الأكبر في إطار جميل . ويوجد إلى جانب مقعد جورنج سيف ، مقبضه على صورة جمجمة . وهذه هي شارة النازية في رأي جورنج نفسه . . على أن جورنج مغرم بالشارات ، والظاهر الملفتة للنظر .

ولذلك فهو قادر على أن يحتل مكانة كبيرة عند الشعب ، لأنه يستهوي الألباب بتنوع ملابسه الغريبة ، التي يظهر بها في الاجتماعات والاحتفالات ، والمناصب الكثيرة التي يشغلها هي التي تعينه على اصطناع هذه الأزياء البديعة إذ أنه كان يشغل في ١٩٣٥ رآسة الرشستاخ ومنصب القائد العام للجيش ، وللطيران وللبوليس ، ووزير الطيران في وزارة الريخ ، وحاكم الصيد ، ومدير الغابات في الريخ ، ومدير التليفزيون . . ! وقد قال أحد ظرفاء من الكتاب أن

الاشاعات تقول إن جورنج يلبس ثياباً لاحصر لها ، والحقيقة أن له عشرة أزياء فقط !

ومن الفكاهات التى يتندر بها الشعب أن جورنج حينما يدخل إلى حمامه ، يلبس ثياب أميرال بحرى ، ويزين صدره بأوسمة من (الكاوتشوك) لتعوم على الماء ، فهو فوق أزيائه الكثيرة ، يحمل على صدره دنيا من الأوسمة !

ويقول بعض خصومه الظرفاء ، إنه ذهب يوماً إلى مصنع حديد ، لزيارته ، فذهب معه المدير إلى حجرات المصنع ، وكم كانت دهشة هذا المدير حينما بحث عن جورنج فلم يجده ، ولكن رفع رأسه فجأة إلى السقف ، فوجد جورنج ملتصقاً به ، فأدهشه الأمر ، ولكن تبين فيما بعد أنه كان بالسقف قطعة حديد ممغطسة ، فلما وقف تحتها جورنج بأوسمته المعدنية الكثيرة ، التقطته من الأرض ورفعته إليها ! !

ولكن جورنج استطاع أن يقدم لألمانيا أعظم خدمة

فهو مشغوف بالطيران إلى درجة التدله ، وغرامه أعانه على خلق أسطول عظيم جداً لألمانيا ، لن يلبث حتى يفوق بقية الأساطيل ، كما هى عادة ألمانيا ، فى إنتاجها المادى والذهنى . ويرى الكاتب الأمريكى جنتر أن من نذر الحرب كون جورنج وزيراً للطيران فى ألمانيا ، إذ أن الحرب القادمة هى حرب طيران ، فما دام فى ألمانيا رجل مغرم بتسليح بلاده فى الجو ، على نطاق واسع ، فلا بد أن قوة ألمانيا فى الهواء ستنتهى بها إلى المجازفة بدخول الحرب !

وحسبنا أن نسوق فى نهاية الكلام عن جورنج فقرتين تلخصان طريقة فى التفكير وفى العمل ، وغرابته فى حياته وتصرفاته .

فلقد شغل جورنج منصب مدير للبوليس فى حكومة الريخ الثالث ، فحدث فى عهد إدارته أن فر من ألمانيا ٩٠٫٠٠٠ يهودى .

وفى المدة مابين ١٩٣٣ و ٣٥ قطعت رأس ٢١٢ رجلا بالبلطة من ٢١٤ محكوم عليهم بالاعدام .

والأشخاص الذين قدموا إلى المحاكمة وصدرت عليهم أحكام بلغ عددهم ٢٨,٣٠٨ ، وبلغ مجموع المدد المحكوم بها عليهم جميعاً ١٢٩,٤٢١ سنة .

ويضاف إلى هؤلاء جميعاً ١٨٤ أعدموا رمياً بالرصاص وهم يحاولون الفرار .

ثم ١٣,٠٠٠ حرموا من الجنسية الألمانية .

و ٤٩,٠٠٠ أودعوا معسكرات المراقبة ، التى أنشأتها الهتلرية ، وهى على نظام معسكرات الشيوعية .

هـــذا يظهر اتجاهاً من تفكير جورنج . أما قصة زواجه فتظهر اتجاهاً آخر .

فان جورنج انضم إلى هتلر وأصبح من كبار قواده ، فلما حدثت ثورة سنة ١٩٢٣ بقيادة هتلر أصيب جورنج بالرصاص وفر إلى إيطاليا ثم إلى السويد ، واشتغل هناك

طائرا تجارياً . وفى ذات يوم ، اضطر إلى الهبوط إلى الأرض بطائرته فى حديقة قصر الكونت روزن السويدى احتفى به صاحب القصر ، ودعاه إلى تناول الطعام معه ، فتعرف على مائدة الطعام بأخت زوجة الكونت روزن ، وهى البارونة كارسن فوك ، ثم لم يلبث أن أحبها ثم تزوجها . فكانت لهـا فى نفسه مكانة كبرى ، وكان لها فى توجيه حياته أثر كبير ، فلما توفيت فى ١٩٣٢ ، ولم يكن قد بلغ بعد ما بلغه من رفعة فى عهد النازى ، نقل جثمانها من السويد إلى برلين ، وأقام لها معبداً فى قصره ، ووضع صورتها بين القناديل والشموع ، وفى كل يوم كان جورنج يركع أمام الصورة ليصلى ، واستمر فى صلاته اليومية هذه حتى تعرف بالسيدة إيمى سونومان . فوقع فى هواها وتزوج السيدة فى احتفال أشبه بالأعياد الرومانية . ولقد رأى جورنج من مكملات فخامة وبهاء هـذا العرس أن تقطع رأسا الرجلين الشيوعيين اللذين قتلا هورست هل بالبلطة فى الساعة التى يعزف فيها العازفون ... !

هجمة الجبار

وفاة هندنبرج

في أول أغسطس سنة ١٩٣٤ توفى المارشال هندنبرج.

ولم تقصر حكومة هتلر في إظهار عواطفها الحارة لوفاة الجندى الجبار المارشال هندنبرج ، وإن كان هتلر قد عجل بقطف ثمرة وفاته . .

وقد أذاعت محطة راديو برلين وصفاً لجناز الرئيس الألمانى الراحل نقتطف منه ما يأتى :

« عندما تدق الساعة الكبرى فى نوديك مؤذنة بانتصاف ليل الاثنين يبدأ المارشال هندنبرج زحفه الأخير إلى تاننبرج .. وتاننبرج هى ساحة مجده الأعلى . فهناك يستريح راحته الأبدية فى ذات المكان الذى خلد اسمه فى

تاريخ ألمانيا حيث وقف من عشرين عاماً على صهوة جواده ينظر إلى فلول الجيش البروسى الذى كان يهدد برلين مرتدا على أعقابه لكى يمحو الأحرف الأولى من اسم روسيا من صفوف الحلفاء .

« فى سكينة الليل المقبل ، (٥ أغسطس) ترفع الأيدى الحزينة جثمان أعظم قائد فى ألمانيا الحديثة إلى عربة مدفع ، ثم يأخذ فى قطع الأميال الطويلة قاصداً إلى تاننبرج بين صفين متراصين من حرس الشرف مأخوذين من جنوده القدماء .

« وعلى مقربة من نورجنو على قمة الرابية التى من أعلاها أدار القائد الكبير حركات التطويق ، والافناء للجيش الروسى سيقف موكب الجنازة دقيقتين تذكاراً صامتاً لذلك اليوم ، وتلك الساعة التى كانت المدافع تقصف منها كالرعود .

« ومن أقرب محطة وهى هوهستين يتحول الموكب

الليلى إلى النصب التذكارى الهائل بين صفين من المشاعل الساطعة يحملها رجال فرقة الهجوم ، وهم واقفون كتفاً إلى كتف على جانبى الطريق .

« وعندما ينتهى هذا الزحف الطويل إلى المقر الأخير يوضع النعش فى برج البناية المشابه للأكليل ، معروضاً للأنظار ريثما يصل « زعيم الأمة والدولة » الهر هتلر بعد ظهر الثلاثاء .

« وبعد ما تؤدى الأمة الألمانية بلسان زعيمها شكرها ووداعها للراحل العظيم يوضع النعش فى مرقده الأخير ، ويبقى أربعة عشر يوماً ظاهراً للعيان ، يكون فى خلالها نصب تانبرج التذكارى مقصداً للزوار الوطنيين والمعجبين بهندنبرج من ألمانيا وسائر أنحاء العالم .

« وبعد ذلك يغادر هذا القائد النور ، ويدخل فى ظلمة الأبد » .



هندنبرج

« وبعـــد ذلك يغادر
هذا القائد النور . . .
ويدخل ظلمة الأبد »

رثاء هتلر

وقال هتلر وهو يخطب على قبره :

« إنه استطاع أن يحرز أعظم نصر فى الحرب العظمى بعد أن تولى قيادة الجيش الألمانى فى بروسيا الشرقية فى تسعة أيام ، وأن تبعة الحرب التى دامت أربع سنوات ونصف سنة لا تقع عليه بل على رجال السياسة . وكان آخر انتصار أحرزه الجيش السابق انتصاره فى سنة ١٩٢٣ لما لم تجد ألمانيا من يمثلها غير الجندى المارشال هندنبرج . فاستطاع هذا الجندى العظيم أن ينهض بالشعب الألمانى وأن يفتح باب النهضة الألمانية على مصراعيه ، فشمل بعنايته الثورة النازية وساعد على نهضة الشعب ، فهنا حيث يستريح جنود هندنبرج الظافرون يرقد المارشال بين الأعلام والبنود التى خلدت ذكره . وسيأتى الشعب الألمانى لزيارة بطله الراحل فيستمد منه القوة فى ساعة المحن والكرب » .

وصية هندنبرج

وقد أذيعت وصية هندنبرج بعد وفاته بأسبوعين ، ولا يعلم السبب فى أرجاء نشرها . إلا أن يكون المقصود استغلالها للدعاية الانتخابية التى كانت قائمة على قدم وساق لاستفتاء الشعب الألمانى فى زعامة هتلر للريخ .

وفيما يلى خلاصة هذه الوصية الهامة .

كتب على غلافها : « هــــذه هى وصيتى لشعبى ومستشارى » وهى تنقسم إلى قسمين ، الأول منهما لا يختلف كثيراً عما جاء فى مذكرات هندنبرج المشهورة فى شهر سبتمبر سنة ١٩١٩ . وقد أعرب المارشال فيــه عن أمله بأن يرى الشعبية الألمانية تتكاتف على رفع الصخرة التى يقوم عليها مستقبل ألمانيا والبيت الألمانى المالك . وحينئذ لا تكون الدماء التى أريقت فى سبيل عظمة ألمانيا ومجدها قد ذهبت سدى .

أما القسم الثانى من الوصية ، فقد استهل بالعبارة التالية :

« أكتب هذا فى ساعات قاتمة ، وأنا أعتقد أنى بلغت الأيام الأخيرة من حيـاة قضيتها كلها فى خدمة الوطن . لقد بدأ الفصل الأخير من حياتى فى ربيع سنة ١٩٢٥ ، حينما اضطررت مرة أخرى إلى العمل لانقاذ أمتى ، وإن الذى شجعنى على قبول رياسـة الامبراطورية ، هو ثقتى العظيمة بحيوية الشعب الألمانى ، فان هـذا الشعب الذى تجمعت فيه صلابة الصخور هو الذى منحنى القوة الداخلية اللازمة للقيام بالأعباء الثقيلة الملقاة على عاتقى » .

وتكلم المارشال عن الجيش فقال :

« يجب أن يبقى الجيش حارس الوطن ، ومصـدراً للفضائل الجرمانية القديمة » .

وتناول المارشال الكلام عن السياسة الخارجية ، فقال : إن القيود التى تغـل أيدينا لا يمكن أن تحطم إلا بالتدريج . وإذا كان كثيرون من زملائى لم يفهموا أن هذه السياسة هى السياسة الوحيدة التى كانت تلزمنا ، فان

المستقبل كفيل بافهامهم ذلك وتبرير عملي فى كثير من المرسومات التى وقعتها » .

وختم وصيته بشكر الله الذى أبقاه حيا إلى الزمن الذى استردت فيه ألمانيا قوتها ، وشكر جميع الذين عملوا من أجل ألمانيا بنزاهة وإخلاص .

ثم قال : « إن ظهورمستشارى هتلر وحركته ، أوجد الحد الفاصل فى تاريخ ألمانيا ، ووحد الرأى العام فيها ، فاذا أغمضت جفنى الآن مطمئنا ، فلأن آمالى فى مستقبل الوطن قد قويت وأصبحت حقيقة ملموسة » .

زعيم الأمة والدولة

بعد وفاة المارشال هندنبرج بساعات ، أعلن الهر هتلر بعد موافقة مجلس وزرائه توليه رياسة الجمهورية الألمانية ، مع احتفاظه بمنصب رياسة الوزراء

وقد أقسم الجيش فى اليوم التالى للفورر قسما نصه :

« أقسم أمام الله يميناً مقدساً على الطاعة العمياء لزعيم ألمانيا والشعب الألمانى أدولف هتلر ، وأن أكون حاضراً فى كل وقت لبذل حياتى كجندى باسل فى سبيل تنفيذ هذا القسم » .

وقد كتب هتلر إلى الهر فريك وزير الداخلية يقول : « إنه لا يريد أن يحمل لقب رئيس الجمهورية ، لأن عظمة الراحل الكبير خلعت على اللقب معنى لا ينفصل عن هندنبرج ، ولذلك فأنا أصر على اتخاذ لقب زعيم الشعب والدولة » .

وأنذرت الحكومة الصحف بعدم البحث بتاتاً فى القانون الجديد ، وأذاعت فى صراحة : إن الله اختار هتلر منفذاً لمشيئته ! !

وكان يظن أن وفاة هندنبرج ستحدث قلقاً من نوع ما ، لأن عاهل أسرة هوهنزلرن لا يزال رابضاً ، ولأن ألمانيا قد لا ترضى بأن يجلس مكان أباطرتها العظام

جندى من الصف ... ولـكن شيئاً من هـذا لم يحدث ، ولا يرجع سكون الحالة إلى اطمئنان الشعب ، بقدر ما يرجع إلى الحيطة ، والحذر الشديدين اللذين تم بهما الانقلاب ...

وقد أمر هتلر ، بعد أن استوثق من قوة مركزه ، باجراء استفتاء عام يقر الشعب فيـه الوضع الجديد للريخ الثالث ، وأنفق دعاة النازى أسبوعين ينفخون فى أبواقهم ويصمون آذان الشعب برغباتهم ...

وأذاع هتلر قبيل الاستفتاء بيانا ضمنه « خواطره » بعد أن ارتقى حتى أصبح قمة الهرم الألمانى ، قال :

القائد العظيم

« لما توفى المارشال هندنبرج ، قائد ألمانيا العظيم كان فى خارج ألمانيا أناس يتوقعون أن تقوم على أثر موته منازعات داخلية خطيرة فى ألمـانيا وكانوا بين عوامل اليأس والقلق يتمثلون قيام حوادث خطيرة ، وتفككا

وانحلالاً فى حركة النازى ، وكفاحا بين الأحزاب والجيش وبين بعض زعماء النازى والبعض الآخر ، على من يخلف الفقيد ؛ ولولا ذلك لكان فى إمكاننا أن نتقدم من بادئ الأمر إلى الشعب طالبين رأيه ثم ننفذ الارادة التى يعرب عنها ؛ ومع أنه لم يكن هناك شك فى النتيجة المنتظرة ، إلا أن حكومة الريخ رأت استعمال حقها فى توحيد رياسة الجمهورية والوزارة ...

« على أنه مهما يكن اجتماع الوظيفتين منطقيا ومشروعاً من الوجهة الدستورية ، فانى لا أريد أن أتخذ من ذلك حقاً أتمسك به ، فعلى الشعب الألمانى نفسه أن يبت فى الأمر ؛ وإنى من قبل خمسة عشرة سنة كنت جنديا غير معروف لا ثروة لى ، ولا سند ولا شهرة ، ثم بدأت العمل الذى وصلت به إلى هذا الحد بينما كانت جميع العوامل مقاومة لى فالكفاح الذى قمت به ، وأفضى إلى هذا النجاح سيكون الحد الفاصل فى تاريخ ألمانيا .

ارادة الأمة

« قال الفورر : إن التفسير الوحيد لارادة الأمة الألمانية من الوجهة السياسية هو الاعتماد على حزب النازى القوة الوحيدة المسلحة الكافلة لتعزيز قوى الدولة وثباتها فى الداخل والخارج ، وعلى العالم أن يعلم أمرين لا ثالث لهما :

أولاً — أن ألمانيا لا يمكن أن تضحى بكرامتها وحقها فى المساواة . ولما كان الشعب الألمانى قد نظم شؤونه الداخلية ، فانه سيدافع عن استقلاله ضد أى عدو كان .

ثانياً — إن الحكومة الألمانية ترغب فى بذل كل ما فى وسعها لضمان السلم . وليست دولتنا فى حاجة إلى فوز عسكرى لتوطيد مركزها لأن نظام النازى معزز بثقة الشعب كله .

. « وسيقيم يوم ١٩ أغسطس للعالم كله دليلاً جديداً على متانة مركز الحكومة . وقد انقضى عهد الثورة الألمانية وإني مصمم على أن أطلب حساباً دقيقاً من كل من تحدثه نفسه باستخدام وسائل العنف لعرقلة التطور الجديد فى الدولة الألمانية . وهكذا سأحاسب المجرمين المسؤولين أمام حكومة الدولة وحزب النازى ، وسأبذل كل ما فى وسعى لصيانة حقوق المذهبين المسيحيين الكبيرين فى ألمانيا ، وإقامة الوفاق والتفاهم بينهما وبين مقتضيات حالة الدولة فى هذا العهد ، وستعمل الحكومة فى الوقت نفسه على حل المشاكل الاقتصادية . والشعب الغنى بمخترعيه وعماله لا يمكن أن تعوزه لوازم الحياة ، وقد استطعت توفير وسائل المعيشة لأربعة ملايين ونصف مليون من العاطلين فى ثمانية عشر شهراً وهذا يثبت للعالم أنه ما من قوة تستطيع سحقنا اقتصاديا ؛ ولعل العناصر المسؤولة فى الشعوب الأخرى تدرك من جديد أن الأصلح والأنفع لخير البشرية ، هو

أن تعمل عملاً مشتركاً لتجديد الحياة الدولية ، بدلاً من التطاحن فيما بينها » .

نتيجة الاستفتاء :

وفى ٢٠ أغسطس سـنة ١٩٣٤ ، أذيعت نتيجة الاستفتاء ، فبلغ مجموع المقترعين ٤٠,٩٦٦,٩١٥ ناخباً ، انحاز منهم إلى جانب هتلر ٣٦,٠٨١,٩٨٧ ، أى ٨٨,٨٪ من مجموع الناخبين ، وعارض رياسته ٤,٠٦٢,٣٠٨ ، ٩,٣٪ ، وأما باقى الأصوات فقد ألغيت .

وأذاع هتلر عقب إعلان هذه النتيجة بياناً قال فيه :

« إن الخمسة عشر عاماً التى قضيناها فى سبيل الفوز بحكم ألمانيا انتهت أمس ، ولـكن نضال النازى سيستمر حتى يعتنق آخر ألمانى المبادئ النازية » .

البعث

الدماء الجديدة :

الشعب الألمـانى بفطرته شعب جد وعمل وانتاج فى الميدانين : ميدان الفكر ، وميدان المادة . إلا أن موجات المذاهب الخطرة كالاشتراكية المتطرفة والشيوعية ، أشاعت فيه نوعا من الانحلال ، وساعد على سريانها نكبة الحرب وهزيمتها ، ودعاية أعداء البلاد فيها . ولـكن هذه الموجات فى السطح ، وليست فى الأعماق . ولذا كانت تحتاج إلى جهد شاب ، وعزيمة حادة ، لتعود ألمانيا كما كانت سيدة نفسها .. وقد وجدت فى هتلر وأعوانه ، المنظمين البارعين .

قال الدكتور جوبلز فى مقال له عن هتلر غداة توليه وزارة الريخ : « ليس أدولف هتلر مستشاراً للبلاد فقط ،



هيل هتلر ! :

مبدء الشبيبة الهتلرية هو :

السرور قوة

بل لا يزال كما كان دائماً رجل الشعب ، وسينجح فى معالجة مصابنا ، وإخراجنا من المحن التى نعانيها . وإذا ثابرنا كلنا على مناصرته ، فانه سيحصل على ما تحتاج إليه الأمة الألمانية أشد الحاجة ، وهو الحرية ، والخبز » .

أما الحرية فقد حقق منها حكم النازى الجانب الخارجى وحده ، فحطم القيود الدولية التى كبلت الشعب والدولة عقب الحرب ، ورفع كلمة ألمانيا إلى الذرى ، وأما الحرية الداخلية ، فلها حديث ذكرنا طرفا منه فيما مضى .

وأما الخبز فليس أمره كما أراد النازى حقا ، إذ انخفض عدد العاطلين من ستة ملايين قبيل توليهم الأمر إلى مليون ، يزيد قليلا فى بعض الظروف . ولكن هل زادت ثروة البلاد ، لا . . وكل الذى حدث أن النقد المتداول ، وزع توزيعاً جديداً على الأفراد ، فخفضت قيم الأجور وموارد الدخل ، حتى تتسع للملايين العاطلة . وقد لا يكون السبب فى عدم نمو الثروة الأهلية عجزاً من حكومة النازى ، ففيها

خيرة المفكرين الألمانيين ، ولكن نرجح أن السبب هو أن طاقة البلاد لا تقوى على أكثر من الانتاج الحاضر ، فان اتسعت فالقليل الذى لا يغنى . ولسنا نحن الذين نصدق أن ألمانيا كائنة ما كانت نزعته السياسية كان يكسل ، أو يتهاون فى العمل ، فلما جاء هتلر ألهب الكسالى بصوته فكدوا وجدوا . . إن صح هذا فانه يكون وصمة للطبيعة العملية الألمانية ، ولكنه لحسن الحظ غير صحيح . .

وقد أرادت ألمانيا أن تعالج أزمة الاقتصاد فيها ، ولا تزال سائرة فى طريق العمل ، ويظهر أن السبيل الوحيد لفك ضائقتها هو أحد اثنين : الحرب — كما صنع موسولينى — أو التفاهم الدولى الكامل مع روسيا وفرنسا وإيطاليا ، حتى تفتح أمامها أسواق مغلقة الآن .

ويخيل لنا أن السياسة الدولية ستحذر من شدة الضيق الذى تعانيه ألمانيا ، وقد تميل إلى التفاهم معها على حساب الثروات الشرقية ، والمستعمرات الافريقية التى



« أطفال هتلر »
« هم الرايخ »
« الثالث »

«..وبنات هتلر»
« هم ألمانيا »
« الجديدة »

يتقاسمونها كلما ضغطت الحاجة واشتدت .

وكعلاج مؤقت للحالة الاقتصادية ، صدر مرسوم فى أواخر أكتوبر سنة ١٩٣٦ خول للهر جوزيف واجنر حاكم سيلسيا سلطة ديكتاتورية على الأسعار فى كل ألمانيا تحت إشراف الجنرال جورنج رئيس الوزراء ، وقد منح حق تحديد أسعار جميع ضروريات المعيشة ، ومنتجات الصناعات الزراعية ، وله السلطة التى تمكنه من توقيع العقوبات على المخالفين بالسجن والغرامة ، وكذلك يستطيع إغلاق المتاجر والمصانع التى يخالف أصحابها أوامره .

الطفولة :

تحدث هتلر فى بدء كفاحه كثيراً عن حقوق الأطفال ، وقد بر بوعده لهم . ونحن ننقل هنا ملخص خطبة للدكتور جوبلز وزير الدعاية يوم عيد الميلاد لسنة ١٩٣٦ تحدث فيها عن أطفال هتلر ، قال : « لا ينبغى

أن يشعر أحد هذه السنة فى عيد الميلاد بأنه وحيد ، بل على الجميع ، ولا سيما الأولاد أن يعلموا أنهم جزء من وحدة مشتركة ، لا تطلب تضحية عند الحاجة فقط ، بل توفر لهم أسباب الفرح فى الأعياد ، وعليهم أن يعلموا أننا جميعاً أولاد شعب قد استرد ثقته بنفسه وافتخاره بها ، وكذلك سعادته وحريته ، وعليهم أن يشعروا بذلك أعمق الشعور ؛ إذ يرون ما يسود العالم الآن من الأحقاد والفوضى والفتن فى الوقت الذى أصبحت فيه ألمانيا جزيرة هادئة سعيدة راتعة فى بحبوحة السلام »

وختم خطبته بقوله :

« من جملة الأعمال التى تمت بالروح التى توجهها الجماعة الألمانية الكبرى الاحتفال الكبير بعيد الميلاد ، الذى تشترك فيه الحكومة والدولة والحزب مع ثلاثة ملايين من الأطفال الألمان الذين تمتلىء قلوبهم بهجة وسروراً »

الشبيبة الهتلرية :

كتبت الكاتبة المعروفة دورتى جيلر مقالاً تصف بعض مظاهر الحياة الجديدة فى ألمانيا فقالت :

« أنها ليست حركة للشباب تلك التى فى ألمانيا ، بل الحقيقة أن شباب ألمانيا هم الريخ الثالث » .

والواقع أن هتلر استعان بهذه الدماء الحارة التى تجرى كشعل اللهب فى عروق الجيل الناشىء ليدرك الفوز ، ويتسيطر على أقدار أمة عتيدة ، فأصوات هذه الشبيبة ، التى علت أكثر مما علت مدافع الهوزار وهى تصيح « هيل هتلر » كانت الدعاية العظمى للزعيم فى انتخاباته ، وكان السن الأدنى للمقترعين فى الانتخابات إحدى وعشرين سنة ، نخفض إلى عشرين ، وبذا كسب هتلر مليوناً من الأصوات جملة واحدة .

وقد قال هتلر مرة « يجب أن يتولى زعامة الشباب

شاب » ، فلما تولى زمام الأمر أصدر مرسوما عين فيه بلدر فون شيراسى « زعيما لشباب الريخ » ، ومنح المرسوم الزعيم الشاب سلطة مطلقة — لادارة كافة تشكيلات الشباب من الجنسين ، وتنظيم الصلات بين الدولة ، وبينها ، وبذا ارتفع عدد المنضوين تحت لواء شيراسى من ثلاثين ألفاً إلى ستة ملايين فتى وفتاة يطلقون على أنفسهم : شبيبة هتلر .

ولهذه الشبيبة صحفها ، ونشاطها الخاص ، ولها معسكراتها ، وتداريبها ، وثقافتها الحزبية المنظمة ، ولها جولاتها فى جميع أنحاء البلاد ، وفى الخارج كلما سمحت ظروف المال ، ولقد آمنت بالمبدأ القائل : السرور قوة ، ففرحت بالحياة فى فجرها الباسم ، واكتسبت من الفرح قوة قاهرة .

معسكرات العمل

فقدت ألمانيا بعد الحرب ٥ر٩٪ من عدد سكانها و ١٣٪ من مساحتها . وألمانيا بلد مكتظ بالسكان ، وقد ضاع منها من الأرض والثروة أكثر مما ضاع من السكان مما زاد فى حدة مشكلة البطالة ، وضاعف أخطارها وقد تفاقم الأمر أكثر وأكثر بعد أن عاد إلى ألمانيا مليون من رعاياها الذين كانوا يعيشون فى المستعمرات الضائعة . . وهذه المستعمرات ذاتها كانت مورد ثروة للبلاد حرمت منه .

وتذكر نشرة ألمانية عن هذا الموضوع أن كمية المحصول الألمانى نقصت بعد تنفيذ معاهدة فرسايل ٣٠٪ مما كانت عليه قبل الحرب ، لأن المناطق المقتطعة فى الشرق والغرب هى أخصب بقاع ألمانيا الامبراطورية . . ثم إن الحرب العظمى استنزفت كل مدخر من فائض ثروة

أو نحوها ، حتى إذا انقضت سنواتها كانت ألمانيا كأعجاز نخل خاوية . ووصل الأمر بها فى بعض الأحيان إلى درجة الهلاك جوعا .

وإلى جانب الآثار العميقة التى خلفتها الحرب فى البلاد جد عامل اجتماعى خطير ، وهو أن الجنود الذين عادوا من الميدان ، وكانوا مجنـدين من القرى والأراضى الزراعية ، أبوا العودة إلى الأرض وظلوا فى المدن يتسكعون طالبين عملا . ولذا كان أول هم الحكومة الهتلرية أن نادت هؤلاء «عودوا إلى أمكم الأرض» ثم أجبرتهم على العودة قسرا .

وفى سنة ١٩٣٠ بدأ يجد فى أفق الحياة الاجتماعية عامل جديد ، وهو هؤلاء الشباب الذين تتراوح سنهم بين ١٨ و ٢٣ ، والذين لم يجدوا عملا ، فاحتضنهم دعاة الشيوعية ، وراحوا يلقحونهم بجراثيمهم . . فالى هؤلاء التفت هتلر ، وكان رأيه فيهم أن يعادوا إلى معسكرات العمل الاجبارى

وهذه المعسكرات نظام جديد أوجده الحزب الوطنى

الاشتراكى سـنة ١٩٢٧ يقضى بأن « يعمل » كل شاب هتلرى مجبراً فى عمل ما ، لا يتقاضى عليه أجرا ، ويعود نفعه لحزبه . . فعمل الشباب الهتلرى فى البناء والزراعة ، وتمهيد الطرق الخاصة وغيرها . وأكسبتهم هـذه المرانة رجولة لا شك فيها . ولا ينظر فى تشكيل فرق العمل إلى فوارق اجتماعيـة أو طبقية . ووصل الأمر بالنازى فى اعتزازهم بهذا النظام إلى رفعه لمستوى التجنيد فى الجيش .

وقد تولى زعامة هذه الحركة ، الهر هيرل ، وظل دائباً على تنظيمها ، ووجدت صلة وثيقة بين هـذه المعسكرات وبين التجنيد فى الجيش . . وتقول جريدة الاجبشيان ميل إن هذه المعسكرات تمكن ألمانيا من جعل جيشها فى وقت السلم ٨٠٠ر٠٠٠ جندى .

الجيش

فى منتصف مارس سنة ١٩٣٥ أعلنت حكومة النازى

التجنيد الاجبارى ، وأعادت تأليف جيشها . وقال هتلر فى بيانه :

بما أن ألمانيا قد أنجزت ما تعهدت به فى معاهدة فرسايل ، ولكن بقية الدول الموقعة عليها لم تف بتعهداتها بل أخذ بعضها يكثر من التسلح فان ألمانيا رأت نفسها مجردة من وسائل الدفاع بين أمم مدججة بالسلاح .

وقد ثارت ثائرة فرنسا ، واحتجت بريطانيا على هذا القرار ، وجاء فى احتجاجها .

« إن الحكومة البريطانية ترى نفسها مضطرة إلى الاحتجاج على بيان الحكومة الألمانية بتاريخ ١٦ مارس بأنها أقرت الخدمة العسكرية الاجبارية ، وزادت جيشها النظامى فى إبان السلم إلى ٣٦ فرقة . وجاء هذا على أثر إعلان الحكومة عن قوة سلاح الطيران . ويدل هذا العمل مرة أخرى على انفراد ألمانيا بأمر هو فوق مخالفته للمبادئ المتفق عليها يزيد الانزعاج السياسى فى أوربا إلى حد بعيد » .

ولـكن الاحتجاج ، وثورة عجائز جنيف ، وهيـاج فرنسا الأجوف ، لم يفد شيئا ، فقد تسلحت ألمانيا ، ولا يعلم أحد على وجه الدقة مدى قواتها الحقيقية فى البر ، ومن الأمور المبهمة تماما مقدار تسليحها الجوى . . إلا أن تغالى ألمانيا فى البر والهواء ، قد لا يكون نقطة الخطر على السلام الأوربى لأنه يعنى فرنسا وروسيا وحدهما ، وهما بدون معاونة انجلترا لا يقدمان على خوض الحرب ، والذى يعنى بريطانيا هو سلاح البحر ... يعنيها الأسطول ، ومن أجله تتحرك ولذا سنذكر عنه كلة مسهبة قليلا .

البحرية الألمانية :

كان من نتائج معاهدة فرسايل القضاء على الأسطول الألمانى ، الذى آثر ضباطه أن يغرقوا مع أسطولهم فى أعماق خليج سكابافلو على أن يسلموه للأعداء ، وقد صرحت المعاهدة لألمانيا بامتلاك أسطول « بوليسى » صغير لحراسة

شواطئها لا تزيد حمولة جميع وحداته على مئة ألف طن ، على ألا يكون بينها سلاح الغواصات ، وبذا هبطت ألمانيا من دولة بحرية ، كانت الثالثة فى الترتيب العالمى (بعد الولايات المتحدة وانجلترا) إلى دولة ثانوية .

وألمانيا النازية قامت لتجدد البناء ، وتعيد إلى الشعب عزته الماضية ، وإلى الدولة قوتها الشامخة ، ولكنها لم تلجأ إلى أساليب الخطابة ، والوعود الخلابة التى ترددت على الألسنة والأقلام فى أعوام الدعاية ، ولكنها كانت فى الحكم أكثر مرونة ، وفهماً للحقائق ، فراح هتلر يفاوض انجلترا التى تهمها قبل غيرها سيادة البحر . وفى شهر مايو سنة ١٩٣٥ عقدت الدولتان اتفاقاً يقضى بأن تنشىء ألمانيا أسطولاً جديداً تعادل قوته ٣٥٪ من قوة الأسطول البريطانى ، وتزداد حمولته بزيادة هذا الأسطول . وأدرجت فى المعاهدة مادة تقضى بأن تتساوى الدولتان فى سلاح الغواصات (وهذا طبعاً فى نطاق النسبة المئوية)

وتستطيع ألمـانيا بموجب هذا الاتفاق زيادة أسطولها إلى ٣٣٣,٠٠٠ طن . فتصبح حمولته بعـد إتمام وحداته كما يأتى :

بوارج	١٨٤,٠٠٠ طناً
حاملات الطائرات	٤٧,٠٠٠
طرادات رقم (١)	٥١,٠٠٠
طرادات رقم (٢)	٦٧,٠٠٠
مدمرات	٥٢,٠٠٠
غواصات	١٩,٠٠٠
	٤٢٠,٠٠٠

ويمكننا أن نلخص مطالعات طويلة لبعض كبار رجال البحر على هذا الموضوع فيما يأتى :

أولاً — تعمد بريطانيا إلى تعزيز سلاحها البحرى ، وتجد ألمانيا فى هذه الزيادة مبرراً « قانونياً » يحملها على زيادة أسطولها .

ثانياً — تكاد هذه النسبة التى أقرها الاتفاق البحرى البريطانى — الألمانى تسوى بين أسطول فرنسا وأسطول ألمانيا الجديد . فقد حددت معاهدة وشنطن البحرية سنة ١٩٢٢ ، الأول منهما بأن تكون نسبة حمولته لحمولة الأسطول البريطانى كنسبة ١,٧٥ إلى ٥ ، وقد حاولت الدول أن تتفق فيما بينها على تعديل هذه النسب فى مؤتمر عام ١٩٣٦ بلندن ، إلا أن إصرار اليابان على مساواتها بانجلترا لم يتح للمفاوضات أن تستمر ، فانطلقت الدول تزيد فى سلاحها البحرى ، ولم يبدر من ألمانيا حتى الآن ما يفيد تذمرها من شروط اتفاقها مع بريطانيا ، وهذا لانشغالها بانجاز برنامجها البحرى الذى حدده هذا الاتفاق ، ولكن من المحقق أن ألمانيا بعد فراغها « مباشرة » من بناء أسطولها ، ستطالب بالمزيد اعتماداً على التسابق البحرى الحاضر ، ولن تجرؤ دولة من الدول حتى بريطانيا على الاعتراض ، ولكن سيلجأون كما هو المعتاد إلى اتفاق يسجل رغبة القوى . . .

ثالثاً — ابتكرت الترسانات الألمانية نوعاً من المدرعات الصغيرة ، حمولة الواحدة منها عشرة آلاف طن ، ولذا أطلق عليها لقب « مدرعات الجيب » ، قيل فى وصفها « سرعة هذه المدرعات لا تمكن الوحدات القادرة على تحطيمها من اللحاق بهـا ، أما السفن السريعة التى يمكن أن تدرك مدرعات الجيب فهى أصغر حمولة بحيث تتداعى فى سهولة أمام قذائف هـذه المدرعات العجيبة » ، وقد أنشأت ألمـانيا حتى الآن ثلاث قطع من هذا النوع هى ديتشلاند والأميرال سير والاميرال جراف سبى ، وسرعة الواحدة منها تصل إلى ٣٠ ميلاً بحريا فى الساعة .

ويقول النقاد البحريون ألا حد لخطر الابتكارات البحرية الألمانية الجديدة ، وإن فى استطاعة العقل الألمانى أن يكمل كل نقص عددى تقضى به ضرورة التعاهد بتجديد غير معروف فى معداتها .

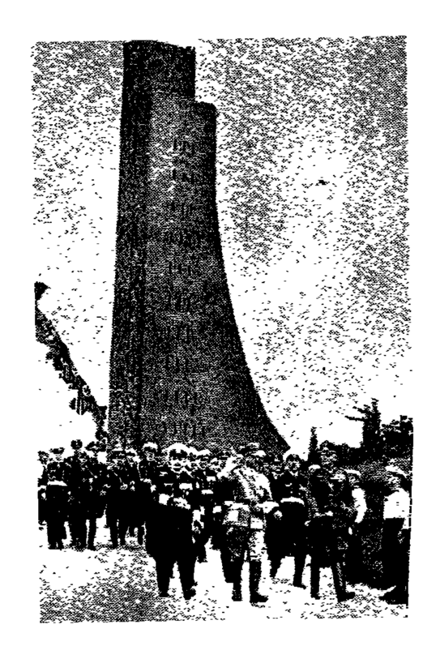
رابعاً — ولا يغيب عن الذهن أن الأسطول الألمانى

ينشئ نشأة جديدة ، تعتمد على أحدث مبتكرات العلم ، وتفنن العقل الجرمانى الهندسى بفطرته . .

أما أساطيل العالم ، ومنها الأسطول الأمريكى نفسه فهى قديمة ترجع إلى الحرب الماضية ، وتضاف إليها وحدات جديدة فى بطء شديد . ولذا ستظل أسرار البحرية الألمانية الهدف الذى تتطلع إليه عيون الدول بحذر وحيطة شديدة .

ونحن نثبت فيما يلى تكملة للفائدة حمولة الأساطيل الثلاثة المتجاورة كما هى حتى آخر سنة ١٩٣٥ :

	بريطانيا	فرنسا	ألمانيا
	آلاف الأطنان	آلاف الأطنان	آلاف الأطنان
بوارج	٥٢٥	١٢٢	١٨٣,٧٥
حاملات	١٣٥	٣٢	٤٧,٢٥
طرادات	٣٤١	١٥٤,٥	١١٨,٣٥
مدمرات	١٥٠	١٢٠	٥٢,٥
غواصات	٥٢,٧	٧٩,٨٠	١٨,٣٥٤



هتلر :

وهو عائد من زيارة النصب التذكارى للبحرية
الألمانية التى أغرقها جنودها عقب الحرب العظمى

وقد جاء فى التقرير السنوى الرسمى لوزارة البحرية الألمانية أن برنامج العام الجديد (١٩٣٧) يحتوى على إنشاء مدرعة حمولتها ٣٥٠٠٠ طنا ، وطراد حمولته ١٠,٠٠٠ طن ، وست نسافات حمولة كل منها ١٨١١ طن وأربع غواصات حمولتها ٥٠٠ طن وأربع غواصات أخرى خفيفة حمولتها ٢٥٠ طن ، واثنتى عشرة سفينة لاستكشاف الغواصات وأربع سفن لبث الألغام وسفينتين لقذف الطوربيد وسفينة مدرسية شراعية .

وتقول دوائر البحرية الألمانية أن هذا وضع ضمن حدود ما تتطلبه « سلامة ألمانيا » وأنه يعارض باعتداله البرنامج السوفياتى الأخير .

استرداد السار

فى شهر مارس سنة ١٩٣٥ استردت ألمانيا السار ، وقد خطب هتلر فى ساربروك ، بين مظاهر البهجة المجنونة قائلاً :

« نرجو أن تكون جارتنا العظيمة فرنسا مستعدة مثلنا للسعى إلى السلام ، ويجب أن تتصافح الأمتان وتزيلا كل عقبة من سبيل الاتفاق بينهما ، ولا بد أن يقر الساسة باستحالة تمزيق شعب قوى ، فالحب أقوى من الوثائق ؛ أما الآن أيها الساريون ، فنحن نحتفل ، ولكن غداً يجب أن نباشر العمل من جديد لأجل وطننا الكبير ، وأنتم تفتخرون بأن تكونوا مدعوين للعمل معنا » .

كؤوس العلقم

جدد النظام النازى شباب ألمانيا ، ما فى هذا شك . . ولكن لا بد من مضى وقت طويل ، قبل أن تصل هذه الدولة فى ظل نظامها الحاضر — وهو خير نظام يمكن أن يصلح للشعب الألمانى الآن — إلى القضاء على متاعبها ، وعلى الأخص الاقتصادية منها . . فقد أشرنا فى غير مكان إلى ما تعانيه ألمانيا من الضائقة الشديدة ، حتى أن كثيراً من ضرورات الحياة يتعذر الحصول عليها مثل الزبد والجبن ، وخطة هتلر فى علاج كل إشكال أن يخصص له ديكتاتوراً ، يتصرف فيه ، لأنه — أى هتلر — يؤمن إيماناً شديداً ، بمقدرة الرجل غير المقيد ؛ ولم تحل هـذه الديكتاتوريات الصغيرة المشاكل التى تواجهها ، وأهمها بعد مشكلة القوت ، أو الخبز كما يسميها خطباء الريخ ، مسألة المستعمرات ،

وهؤلاء الألمان الذين يعيشون خارج الحدود .

أما المستعمرات ، فهم فى حيرة من أمرها ، وقد زادت حيرتهم مغامرة موسولينى ، ونجاحه فيها . . لابد لهم من حرب ، فلن تقبل دولة التنازل عن شىء لها ، وقد جست الحكومة البريطانية نبض الرأى العام ، فسمحت لاشاعة تقول بامكان تنازلها عن تنجانيقا لألمانيا أن تسرى ، فاهتم البرلمان وعلقت الصحف مندده ساخطة ، فكذبت الحكومة الاشاعة .

واتجه الألمانيون صوب الشمال الافريقى ، فقد كانت لغليوم الثانى أطماع هناك ، ذهب ولم يقض إدراكها وطرا كما يقول الشعر ، وعادت ألمانيا تفكر مرة أخرى ، إلا أنها وجدت فى الريف (المغرب الأقصى) أمة يقظة ، غير مستعدة لاستبدال غاصب بآخر ، حريصة على تحقيق استقلالها ، فوجهت ألمانيا نظرها صوب إسبانيا ، لا لاستعمارها بطبيعة الحال ، ولكن حين تفوز الفاشستية

على الشيوعية فى الصراع القائم ستجد ألمانيا هناك سوقا ، ومتنفسا . . ولذا جد الهتلريون ، فى عدد كبير عن شباب معسكراتهم الحزبية ، إلى جبهة الجنرال فرانكو ، ومما يؤسف له حقاً ، أن كثيرين من أهالى هؤلاء الشبان لا يعلمون عن مصيرهم شيئاً .

ألمانيا خارج حدودها

حطمت معاهدة فرسايل الامبراطورية الألمانية ، واقتصت من أطرافها قطعاً كثيرة يعيش فيها ألمانيون يكونون أغلبية السكان ، أو قسما كبيراً منهم . وكان لابد لدعوة جديدة تريد تصفية آثار الهزيمة وإعادة الريخ إلى سابق سلطانه ، أن تضم العنصر الألمانى فى وحدة واضحة المعالم والحدود . ولذا نادى هتلر فى كتابه بوجوب « أن يكون الدم المشترك ملكا لأمة موحدة » قال لكى يعبر عن مرارة التجزئة الظالمة وتأثيرها فى نفسه :

« قضت الأقـدار أن تكون بلدة برونو على نهر « إلان » مسقط رأسى ، وهـذه المدينة الصغيرة واقعة على الحدود بين بلدين ألمانيين نرى نحن الجيل الأصغر أن اتحـادهما عمل واجب النفاذ ، بكل ما وهبنا من عزيمة واقتدار » .

ولمستعمرات ألمـانيا قصة لا يزال ساستها يروونها ، وتتجاوب بهـا الأنباء فى الصباح والمساء ، ولـكن للممتلكات المنتزعة من ألمانيا الامبراطورية قصـة أخرى ، انتهى هتلر من روايتها ، وبقى أن ينعم العالم النظر فى مدلولاتها قال :

« ليس ينبغى لتحقيق أمانينا — أدبياً — أن نحصل على ممتلـكات خارج أوربا ، حتى تضم حدود الريخ كل ألمانى واحداً فواحدا ، وحتى يوقن أولئك الألمـانيون (الذين يعيشون اليوم خارج الحدود) أنهم قادرون على تغـذية دولتهم . وليس يحق للشعب الألمانى أن يسعى للحصول على

مستعمراته ، ما دام عاجزاً عن أن يجمع أبناءه تحت ظل دولة مشتركة »

ويمكن أن نذكر فيما يلى إحصاء للألمانيين الذين تطمع دولة الصليب المعقوف أن تضمهم تحت لوائها ، أو على الأصح تضم الأقاليم التى يريدون الاقامة فيها إلى سلطانها .

فى النمسا	٤,٥٠٠,٠٠٠
« تشيكوسلوفاكيا	٣,١٢٤,٠٠٠
« بوزن وسليسيا والممر البولونى	١,٤٠٧,٠٠٠
« دنتزك	٣١٨,٣٠٠
« ممـــل	١٠٥,٠٠٠
« شلزويج	٤٠,٠٠٠
« الالزاس	١,٦٣٧,٠٠٠
« لكسمبرج	٢٧٠,٠٠٠
« سويسرا	٢,٩٠٠,٠٠٠
« إيطاليا	٣٠٠,٠٠٠

« يوغوسلافيا ورومانيا	٦٠٠،٠٠٠
« روسيا	١،٠٠٠،٠٠٠
	١٦،٢٠١،٣٠٠

ومن الحق أن نذكر أن الذين يتكلمون اللسان الألماني في لكسمبرج وفي سويسرا لم يعربوا عن رغبة صادقة في الانضمام لألمانيا . ولا يطمع الريخ الثالث في أن يضمهم إليه . ومع هذا فسكان ألمانيا البالغ عددهم الآن ثلاثة وستين مليونا ، يزيدون كل عام بمعدل ٩٠٠ ألف نسمة ، ولذا قد لا يكون مستغربا أن ينشأ الطفل الألماني الجديد وهو يسمع في منزله ، وفي مدرسته أن عدد سكان بلاده ثمانين مليونا ، وأن رقعتها تشمل جميع الأجزاء التي اقتطعت منها ، حتى إذا ما شب وعرف حقيقة أخرى لم يعلمها في صباه ، وهي أن بلاده ستين مليونا ونيف ، وإن باقي أهله وأبناء وطنه يعيشون تحت ظلال أعلام ودول أجنبية ثارت في نفسه الكراهية والبغضاء لهؤلاء الذين

تسببوا فى هذه الحالة ، ونشأت إرادته على عزيمة جديدة ، وهى أن يعمل جهــده على بسط علم الريخ الثالث على رقعة من الأرض تضم كل ألمــانى فى أوربا . . وهكذا يستغل النازى البيت والمدرسة لبث عقيدته ومبادئه ، ويهيئ للمستقبل جيلاً قد يحقق ما يعجز هو اليوم عن تحقيقه .

ولعل القراء يعلمون أن هتلر وعد بأن ينتحر إن لم يحقق برنامجه كاملاً ، ترى هل ينتحر أو تقدم أوربا على مذبحة جديدة لا شك فيها على مذبح الحقوق والأطماع الهتلرية ؟ ! . هذا مالا يمكن التكهن به الآن ، ولـكن الذى لا شك فيه أن تجربة الحركات العنيفة لم تعـد تلقى رواجا كثيراً ، بعد أن أخفقت ثورة النازى فى النمسا منذ ثلاثة أعوام ، وإن كانت انتهت بمصرع المستشار دلفوس .

الدين :

ولد هتلر ، من أسرة كاثوليكية ، ولـكنه فقد إيمانه

الديني في صباه ، وقد ثار على الدين . حتى أن حكومته في بدأ نشأتها حاربت العقائد الدينية ، في قسوة . . حاربت الكاثوليكية والبروتستنتية واليهودية ، ولعل سبب هذا التمرد الديني لا يرجع إلى الدين في ذاته ، ولكن يمكن أن تلتمس له في صميم السياسة أسباباً قوية . فهتلر يريد أن يطهر ألمانيا من كل شيء غير ألماني . يريد أن تكون بلاده ألمانية في جميع عناصرها الأولية ، وقد حارب كل ما يرد إلى ألمانيا من تجارة ومذاهب سياسية وفكرية ، مقتاً منه للعالمية والانسانية وما إليها ، وقد رأى في الكاثوليكية قوة منافسة للعقيدة الوطنية الخالصة .

قال : « نجحت الكاثوليكية ، لمدة من الزمن ، في توحيد القبائل التيوتونية ، ولكن نهضة العصر الوسيط قضت على هذه الوحدة ، وقد توجدت ألمانيا الآن ، وبذا يمكننا أن نقول إن الوطنية الاشتراكية نجحت حيث أخفقت المسيحية » . وفسر هيدن هذا الرأي بقوله : إن

الشعب الألمانى لا يريد إلهاً آخر غير ألمانيا نفسها ؛ أى إن ألمانيا هى عقيدة هتلر ودينه ، ويحس هتلر فى أعماق نفسه بحقد على الاله كما صورته المسيحية ، وهذا لأن المسيح كان يهودياً !

ثم إن الأساس الذى بنى عليه النازى ثورتهم هو هزيمة ألمانيا فى الحرب العظمى ، وفى تلك الحرب أسلم الألمان قيادهم لاله المسيحية فخذلهم ، ونصر عليهم فرنسا ، وبعض الشعوب الدخيلة التى حالفتها ؛ والألمان اليوم غير مستعدين — إذا ما خاضوا حرباً جديدة — أن يسلموا مصيرهم لاله تخشى مغبة تصرفاته ، واذن فلا بد من صبغ العقيدة الدينية بصبغة نازية خالصة حتى تكون منهم وإليهم ومن الممكن أن تؤدى هذه المحاولة — محاولة ألمنة الدين — إلى خطر جديد ، وهو أن يصبح هتلر نفسه إلاهاً . . . ومن ثم يتحتم عليه أن يقدم للناس معجزات خارقة ، وهذه مشكلة أخرى ! !

أما رأى الشعب فى العقيدة الدينية فلا يزال سليما ، ولكن تغطيه موجة من الألحاد الاضطرارى ، تبدو فى المدن دون القرى .

كتب الصحافى كارل فون فيجاند عن الدين فى ألمانيا يقول :

« إذا قيس الدين باعراض النـاس عن الكنيسة مدى الأربعة عشر عاماً التى تلت الحرب العظمى ، نجد كفة الألحاد فى ألمانيا وفى أوربا الوسطى هى الراجحة بفعل البؤس الاقتصادى المزمن .

« لقد خسرت الكنيسة أكثر من ثلاثة ملايين من أتباعها الذين انسحبوا منها منذ عام ١٩١٩ ، ومن بين هؤلاء ٢٦٠٣٧٨٣ من أتباع الكنيسة البروتستنتية ، و٥٠٩٦٠٩ من أتباع الكنيسة الكاثوليكية ، وليس « للشيطان » دور فى إخراج جل هذا العدد من حظيرة الكنيسة ، ولكنه جامع الضرائب الكنسية ، إذ أن السبيل

الوحيد للتخلص من هذه الضرائب التى تتفاوت بين ١٠ ، ١١ فى المئة من ضريبة الدخل هو إرسال كتاب أو إمضاء تعهد رسمى بترك دين المسيحية ، وهذا الذى فعله ثلاثة ملايين من الألمان أنكروا عقيدتهم ، وخرجوا من زمرة المسيحيين ، وبهذا تخلصوا من ضرائب الكنيسة التى كانت الدولة تتولى جمعها .

« ولقد شعرت شخصياً فى السنة الماضية بخطر جامعى الضرائب ، بعد ما فرضت الحكومة الألمانية ضريبة الرؤوس . فقد أخبرنى خادمى أنه أمام الضريبة الكنسية الثقيلة اضطر إلى أن يخرج من حظيرة الكنيسة ، ويعلن إلحاده . فهو يدفع زيادة على ضريبة الدخل السنوية ضريبة المرضى ، وضريبة الشوهين ، وضريبة البطالة ، وضريبة الكنيسة .

« والدين فى رأى الذين تركوا الكنيسة من الألمان ، هو نوع من الترف لا تساعد عليه الأزمة الاقتصادية والبؤس العام » .

ويقول أحد رجال الدين « الدكتور باول بشوفسكى » أن الحملة على الدين ترجع إلى ثلاثة أسباب رئيسية :

سبب فكرى ، وآخر سياسى ، وثالث اجتماعى . والأول من هذه العناصر له أسباب مادية أكثر من الأسباب المعنوية .

والحقيقة أن الشيوعية والاشتراكية انتزعتا عدداً غير قليل من أبناء الكنيسة . ثم إن للحالة الاجتماعية تأثيراً واضحاً فى الشعور الدينى ، فهيهات — فى ألمانيا — أن يفكر فى الدين أفراد أسرة مكونة من ستة أو سبعة أشخاص يعيشون فى غرفة واحدة ، وفيها يأكلون ، ويسمرون وينامون !

فلا شك إذن أن هناك نضالاً عنيفاً فى ألمانيا بين القوى الروحية والقوى المادية ، ولكن أيهما سيفوز ؟ . .
يجيب الدكتور (باول تروشكه). المستشار الأول

للكنيسة الانجيلية الألمانية ، بأن الدين فى ألمانيا فى أزمة ، ولكنه لا يحتضر ، وسينتصر .

حرية الفكر

طبيعة الشعب الألمانى تميل إلى النظام ، ومن طبيعة النظام الطاعة ، ولكن إلى أى حد تكون الطاعة واجبة ، ومن هذا الذى تجب طاعته . . قالوا : هو الأقوى من الناس ، والأقوى من النظم ؟ وقالوا : هو الأصلح منهما ، ولكن هل يجوز أن تكون كل قوة صلاحا ، وحقاً ؟ ! هنا تختلف الأجوبة ، وتتشعب الآراء .

قص كاتب أميركى زار ألمانيا ، أنه رأى بعينى رأسه جمعاً حاشد من أطفال هتلر ، يؤلفون موكباً ويسيرون فى الطرقات صائحين « أننا نبصق على الحرية » ! . . من الذى علمهم هذا ، وما غاية الشوط الذى تسير فيه هذه التعاليم . .

أما نحن ، فنريد أن نفرق بين الحرية ، وبين الفوضى

فنقول أن الحرية المنظمة أى المقيدة ، هى التى تباين الفوضى ، وإذن لا بد من قيود ، ولكن أولاً وقبل كل شىء لا بد من وجود الحرية .

اشتط الهتلريون ، إلى درجة الاسراف فى مصادرة حرية الرأى ؛ وقد نجيز هذه المصادرة إذا تمشت مع منطق النازية فى حرب اليهود ، فقد اقتنع زعماؤها بخطر هذا العنصر على الكيان الجرمانى ، ونادوا بعدائهم لهم منذ بدء الحركة ؛ ومع مضى الزمن وافق الشعب على هذا الرأى . . فليصنع حزب النازى مع اليهود مايشاء . . يصادر أموالهم ، ويشردهم فى الآفاق ، ولا يحترم فى علمائهم كرامة العلم ، وفى أدبائهم كرامة التفكير ، فليصادر حرية الرأى عندهم كما يشاء . . ولكن أن يصنع هذا الصنيع مع الألمانيين أنفسهم ، معتزاً بسواعد الأعوان فأمر لا سبيل إلى فهمه ، ولا ينهض للدفاع عنه أى دليل .

وقد حاولنا كثيراً أن نعلل السبب فى هـذا الموقف الـكريه فوصلنا إلى أمرين :

أولهما — أن هتلر نفسه ليس عميق الثقافة ، فتاريخ حياته ، لم يسمح له بالتبحر فى الدرس والقراءة ، ولذا لا يعرف للعقل المفكر كرامة .

ثانيهما — أنه يعتمد فى حكمه على أعوان يطلق أيديهم كما يشاؤون ، والدكتور جوبلز وزير الدعاية الألمانية شاب مثقف حقاً متسع الأفق إلى أبعد حد ، ولـكنه شديد الاعتداد بنفسه إلى درجة حملته — اعتماداً على السلطة الواسعة التى بين يديه — على أن يعتقد أن حرية الفكر الألمـانى لا بد أن تصدر من نبع يكون هو حارسه والمتصرف فيه ، وليس هناك من يحاسب الدكتور جوبلز على أعماله ، فالزعيم يثق به ثقة عمياء ، والرأى العام مكمم مكتوف الأيدى . . ونعتقد أنه لو أتيح لهذا الوزير أن يطلق للأقلام والألسـنة العقال لمدة يوم واحد ، لانقلبت كلها من صديقة ونصف صديقة

ومنافقة — إلى الحملة المنكرة عليه .

ولسنا نفهم السر في ضيق الوزير الداعية بالنقد إذا صدر من ناس لايتوفر فيهم سوء القصد ؟ قد يكون الأمر احتياطاً يتخذ لمدة من الزمن ، لا طبيعة يصدر عنها هذا الاسراف في التضييق فيعز الأمل في إصلاحها . .

وإننا لنذكر هنا قصة حظر النقد الأدبي في ألمانيا ، فهي حديثة جداً ، بنت الشهر الماضي فقط . .

حدث أن شابا من المشتغلين بالصحافة ، كان في ملهى وأخذ يتحدث مع بعض أصحابه عن مؤلف جديد لأحد رجال النازي حديثاً حين وصل إلى الدكتور جوبلز لم يعجبه ففيه تهجم على الكتاب وتعريض بالمؤلف ، فما كان منه إلا أن أصدر أمراً يحرم على الصحف نشر نقد للمؤلفات الألمانية ، ويبيح لها فقط عرض الكتب الجديدة ، وتقريظها ، أما نقدها فما لا سبيل إليه . . وحجة وزير الصحافة في هذا أن النقاد الآن مجموعة من الشباب

الأغرار الذين لا يصلحون لتقدير الأعمال العقلية القيمة ، وقد يؤذون بنقدهم المؤلفين ، ويمسون كرامتهم . .

وأظن أن جوبلز نفسه هو الذى قال — كما ذكرنا فى فصل سابق — أن دولة النازى تعتمد على سواعد الشباب ، فكيف يضيق الآن بالشباب حين يؤدون واجبهم فى ناحية من النواحى ؟ ! ! ثم أليس فى هذا القرار ما يفهم منه أن النقد الأدبى فى ألمانيا — وفى العهد الهتلرى — انحط حتى سامه كل مفلس ! ! الأمر محتاج إلى إيضاح . .

وقد أصدر ديكتاتور الصحافة الألمانية قانوناً للصحافة منذ عامين كانت له ضجة كبيرة ، ونحن ننشر فيما يلى تعليق جريدة التيمس عليه :

تعليق التيمس

« إن الأوامر الجديدة بتقييد حرية الأقلام فى ألمانيا

صدرت فى الوقت المناسب ، وفى العام الذى شهد اختفاء فوسيشى زيتونغ وتغيير ملكية فرنكفورتر زيتونغ واعتقال عدة محررين وسجنهم وتناقصا عاماً فى انتشار الجرائد الألمانية فى عقر دارها . وقد مرت سنة على اليوم الذى أرسل فيه محرر جريدة ديجرونى بوست إلى المعتقل لأنه سمى الدكتور جوبلز بدكتاتور الثقافة النازية ، واحتج فى مقال له على تشابه الصحف الألمانية فى موادها . وزادت التيمس : « لقد كان باقياً بعض الأمل فى جفاف معين الدهشة فى أعماق الصدور بأن تستطيع الصحافة الألمانية مع الأيام إتمام وظيفتها الأصلية . لكن الحكومة الهتلرية لم تسمح بعامل ثالث يتوسط بينها وبين الشعب . . . وفى نظر الأمم التى تقدس الاستقلال والحرية يعد خضوع الشعب الألمانى أمام تقييد حرياته ومورد أخباره حادثاً مقلقاً جداً إذ يتساءل الناس الآن كيف يتيسر للشعب الألمانى أن يفهم حقائق السياسة الدولية عن طريق الأخبار القليلة التى يسمح

بنشرها . هل يفهم الألمان أن كلمة « العزلة الأوربية » التى يرددها زعماؤهم هى فى الغالب من صنع أولئك الزعماء ؟ هل يفهمون الحقائق المفصلة عن قتل الدكتور دلفوس مستشار النمسا ؟ وماذا يعلمون عن مذبحة ٣٠ يونيو فى ألمانيا ؟ وعن معاملة اليهود والسجناء السياسيين وتأثير هذه الأمور فى الرأى العام الأوربى ؟

« إذا نفذ قانون الصحافة الألمانى بحروفه لم يبق شىء هناك لمقاومة نشاط الدعاية التى يتولاها أفراد متعصبون بقوة الحكومة . وفى فوزهم لا بد أن تخطر بالبال كلمات الزعيم هتلر فى (توراة النازى الحديثة) وهى كتابه كفاحى : إن الألمانى لا يعلم بأية حال كيف يجيد سوق الشعب بالحيلة عندما يكون الغرض المطلوب هو إخضاع الجماهير » .

دفاع الدكتور جوبلز

وفيما يلى تبرير الدكتور جوبلز لموقفه من حرية الرأى

الألمانى نذكره حتى نعرض وجهتى نظره فى موضوع خطير ، وهذه النبذة مأخوذة من خطبته التى ألقاها فى أسبوع الكتاب الألمانى الذى أقيم فى نهاية العام الماضى قال :

« طالما لام الآخرون الوطنية الاشتراكية لمنعها حرية البحث ولكن الحقائق أبطلت هذا القول ، فلا حاجة إلى العودة إليه الآن . على أنه ينبغى وضع حدود للعمل الفكرى حيث تقتضى المصلحة الوطنية وضع هذه الحدود . ويجب أن يكون القلم كالسيف والمحراث فليس من الممكن السماح للجندى بأن يطلق الرصاص عند ما يشاء ولا للفلاح بأن يفلح الأرض عند ما يشاء وحيثما يشاء . وحامل القلم مثل هذا وذاك . فلا يحق له أن يتجاوز حدود المصالح الوطنية . ويقال عن الوطنية الاشتراكية فى الخارج أنها تشبه البلشفية من هذه الناحية ، ولكن هذا القول خطأ ، فان تدابيرنا تتناول الأمة كلها كوحدة كاملة ، ولكن تدابير

البلاشفة تحمى عصبة أو طبقة . فالفكر معلق على مصالح فئة قليلة من البلاشفة واليهود فلا تستفيد الأمة منه . والكاتب عندهم عبد لنظرية معادية للثقافة أما تدابيرنا فانها متصلة بالأمة كلها . فالكاتب يساعد فى عمل النهضة الوطنية كله من جميع نواحيه »

هتلر والشرق :

قدمنا فى البحوث الماضية طرفاً من النظرية الهتلرية فى الأجناس وأقسامها ومميزاتها ، ولسنا نتغالى ، فنرى مع بعض الكتاب أن التعصب للآرية فيه إساءة للسامية أو الحامية ، أو غيرهما من الأجناس ... إذ نستطيع نحن — وبسند من التاريخ والمنطق والعلم — أن نثبت أن دماءنا خير دماء جرت فى عروق آدمى ، ونستطيع أن نثبت ما نشاء من الدعاوى ، فلا حد لما يستطيعه العقل البشرى .. ومع هذا فمن الانصاف أن نذكر أيضاً أن حملة الأجناس

قصد بها — أولاً وقبل كل شيء — اليهود . وقد خيل لكثير من كتاب النازية وخطبائها أن اليهود هم سكان الشرق ، وأن الشرق وطن للاسرائيلية ، وكان هذا رأى هتلر الضمنى فى يوم من الأيام .

ونظرية الأجناس إذن لا تنطوى على خطر يستحق الاهتمام الشديد ، ولكن نظرية «الاستعمار» هى التى تحتاج منا إلى وقوف طويل ، وتفكير متصل . فقد زعم هتلر ، كما زعم غيره كثيرون من سكان تلك القارة الشمالية ، أن الشرق مزرعة ، وأن الغرب حاصد ثمرها .

وكان يمكن أن نسلم بامكان صدور هذه الدعاوى من قوم غير الألمانيين الذين عانوا من الحرب مذلة الانكسار والضعف ، والذين رأووا فى الظلم كأساً من العلقم يتجرعه الضعيف ، وهو مكتوف اليدين ، أن تأذى فبمقدار ، وأن تحرك ففى نطاق ضيق . ولكن الطبيعة لم تبق على الضعيف ضعفه ، بل قد تمنحه القوة ، وترد عليه العافية ، وقد

ردت العافية إلى ألمانيا فى ظل نظامها الحاضر ، وتحت لواء صليبها المعقوف ، وليس هناك ما يمنع من أن ينهض الشرق نهضته ، وأن يستلم من جديد لواءه ، فله — وللشرق العربى بصفة خاصة — ماض مجيد ، وفى دمائه عروق الفاتحين الغزاة ، والمشرعين الهداة .

وقد أشرنا مرتين إلى محاولة هتلر استمالة المغرب الأقصى إلى جانب دولته ، رغبة منه فى انتهاز فرصة ما ، للوثوب ، والتملك ؛ ولأمر ما سمحت الهتلرية لكتاب « كفاحى » بأن يترجم إلى العربية فى الريف ، وأن يوزع هناك ، ويغرى أهل الريف بقراءته ، وإطالة النظر فيه . . وهذا فى الوقت الذى منعت فيه الهتلرية ترجمة الكتاب فى مصر إلى العربية . . ولأمر ما يحسن بنا أن نهمس فى أذن الدعاة الهتلريين ، بأن ليس فى الشرق ، وفى بلاد العرب بصفة خاصة ، من يسمح باحلال سيادة أجنبية جديدة ، محل أخرى قديمة . . وأن غاية الشرقيين — والعرب بصفة

خاصة — هى كنس المستعمرين من بلادهم ، وقذفهم إلى البحار التى تحملهم إلى داخل حدودهم الأصلية ، إلا أن يكون التعاون بين أوربا ، وبيننا تعاون أنداد أقوياء ، يتبادلون البر ، وينفع بعضهم بعضا على أسس من احترام الحقوق ، واعلاء القوميات المحلية .

ويحسن بنا أن ننقل من كتاب هتلر « كفاحى » فقرات تصور رأيه فى الشرق ، وفيه تعرض صريح لمصر ، ورأى قاطع فى الهند .

من « كفاحى »

« حوالى سنة ١٩٢٠ — ١٩٢١ تقدمت مقامات مختلفة إلى حزب النازى تسعى لايجاد اتصال بينه ، وبين الحركة القائمة فى البلدان الأخرى للتحرر من الحكم الأجنبى على المبادىء التى أكثرت من الاعلان عنها جمعية الأمم المظلومة ، وهذه الجمعية مكونة فى الغالب من مندوبى بعض

ولايات البلقان ، وبعض المندوبين من مصر والهند الذين تركوا فى نفسى اعتقاداً بأنهم من الثرثارين الفضوليين الذين لا يستندون إلى شىء ، غير انه يوجد قليل من الألمــان وخصــوصاً بين الوطنيين أسلموا قيادهم لهؤلاء الشرقيين الثرثارين ، وزعموا أن كل طالب هندى أو مصرى يتفق ظهوره أمامهم يمثل الهند أو مصر تمثيلاً صحيحاً ، ولم يكلفوا أنفسهم مشقة البحث أو يدركوا أن هؤلاء أناس لا يؤيدهم أحد .

«وأذكر جيداً تلك الآمال الصبيانية الغريبة التى قامت بغتة فى الدوائر الوطنية ، إذ قام بعض المهرجين من آسيا ، وجعلوا يطوفون البلدان الأوربية سعياً وراء إقناع فريق من العقلاء المعتدلين بفكرة صريحة معينة ، هى أن صرح الامبراطورية البريطانية ومحورها فى الهند على وشك الانهيار .

وبعد أن تكلم عن الهند قال :

« ونحن الألمــان نعرف جيداً بالاختبار كيف أنه من الصعب إكراه انجلترا أو إرغامها على شىء ، وبصرف النظر

عن أنني أتكلم كألمـانى ، فانني أوثر أن أرى الهند تحت السيادة البريطانية على أن أراها تحت سيادة أمة أخرى

« كذلك لا يوجد أساس صحيح للآمال التى يعقدها البعض بوقوع فتنة وهمية ضد النفوذ البريطانى فى مصر » .

وقد أعيد نشر هذا الـكلام فى جريدة التيمس خلال شهر يوليو سنة ١٩٣٣ ، وربمـا كان قصد هتلر من نشره إرضاء الانجليز ، وهو فى بدء عهد جديد ، بدليل اعتذاره فيما بعد عما وجهه إلى « العرب » من إساءة ظن . .

وبعد

فهذا كتاب عن هتلر والهتلرية ، لم نحص فيه كل شىء نريد ، لأن النازية لا تزال تحت التجربة . وإن لنـا لعودة نرجو ألا تكون بعد ألف سنة ، وهى المدة التى قدر الهتلريون أن سينتهى بعدها حكمهم ، بانتهائهم من أداء رسالتهم .

صدر عن دار الثقافة العامة
القاهرة فى ١٩٣٧/١/١٣

فهرس الكتاب

فى بلاط الزعيم

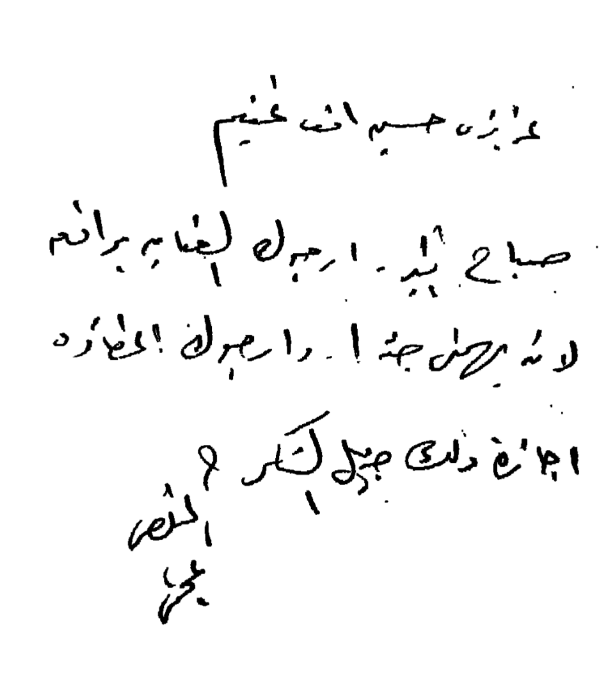
العمالقة

جورنج

هجعة الجبار

البعث

كؤوس العلقم



عزيزي حسين افندي

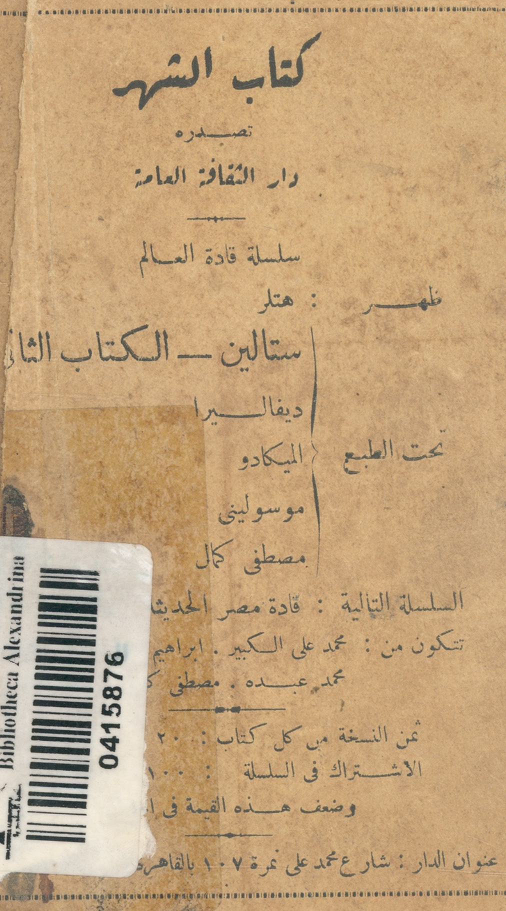
صباح الخير. ارجوك الكتابة [illegible]

لانه يرحل جدا. وارجوك المحافظة

اجابة ذلك جزيل الشكر

المخلص

[illegible]



كتاب الشهر

تصدره

دار الثقافة العامة

سلسلة قادة العالم

ظهر : هتلر

ستالين — الكتاب الثا

تحت الطبع

- ديفاليرا
- الميكادو
- موسولينى
- مصطفى كمال

السلسلة التالية : قادة مصر الحديثة

تتكون من : محمد على الكبير . ابراهيم

محمد عبده . مصطفى ك

ثمن النسخة من كل كتاب : ٢٠

الاشتراك فى السلسلة : ١٠٠

وضعف هذه القيمة فى ا

عنوان الدار : شارع محمد على نمرة ١٠٧ بالقاهرة

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر